﴿ تفسير سورة عبس وهى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع فى إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شىء ويلح عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة فى هدايته . وعبس فى وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى) أى يحصل له زكاة وطهارة فى نفسه (أو يذكر فتنفعه الذكرى) أى يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم (أما من استغنى فأنت له تصدى) أى أما الغنى فأنت تتعرض له لعله يهتدى (وما عليك ألا يزكى) أى ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة (وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى) أى يقصدك ويؤمك ليهتدى بما تقول له (فانت عنه تلهى) أى تتشاغل ، ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يخص بالانذار أحدا بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغنى والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله تعالى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة . قال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا محمد بن مهدى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضى الله عنه فى قوله تعالى (عبس وتولى) جاء ابن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أبى بن خلف فأعرض عنه فأنزل الله عز وجل (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه . قال قتادة وأخبرنى أنس بن مالك قال : رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء يعنى ابن أم مكتوم وقال أبو يعلى وابن جرير حدثنا سعيد بن يحيى الأموى حدثنى أبى قال هذا ماعرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزلت (عبس وتولى) فى ابن أم مكتوم الأعمى أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أرشدنى قالت وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين قالت فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول « أترى بما أقول بأسا ؟ » فيقول لا ! ففى هذا أنزلت (عبس وتولى) . وقد روى الترمذى هذا الحديث عن سعيد بن يحيى الأموى باسناده مثله ، ثم قال وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه قال أنزلت عبس وتولى فى ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة ﴿ قلت ﴾ كذلك هو فى الموطأ . ثم روى ابن جرير وابن أبى حاتم أيضا من طريق العوفى عن ابن عباس قوله (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرص عليهم أن يؤمنوا فأقبل اليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم يمشى وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرىء النبي صلى الله عليه وسلم آية من القرآن وقال يارسول الله علمنى مما علمك الله فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبس فى وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر لتنفعه الذكرى) فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله

ﷺ وكلمه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ا ـ وإذا ذهب من عنده قال ـ هل لك حاجة فى شيء ؟ » وذلك لما أنزل الله تعالى (أما من استغنى فأنت له تصدى. وماعليك ألا يزكى) فيه غرابة ونكارة وقد تكلم فى إسناده وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثنى يونس عن ابن شهاب قال : قال سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » وهو الأعمى الذى أنزل الله تعالى فيه (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) وكان يؤذن مع بلال ، قال سالم وكان رجلا ضرير البصر فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون إلى بزوغ الفجر أذن . وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن زيد وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت فى ابن أم مكتوم والمشهور أن اسمه عبد الله ويقال عمرو والله أعلم وقوله تعالى (كلا إنها تذكرة) أى هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس فى إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم وقال قتادة والسدى (كلا إنها تذكرة) يعنى القرآن (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء ذكر الله تعالى فى جميع أموره ويحتمل عود الضمير إلى الوحى لدلالة الكلام عليه

وقوله تعالى (فى صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة) أى هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن فى صحف مكرمة أى معظمة موقرة (مرفوعة) أى عالية القدر (مطهرة) أى من الدنس والزيادة والنقص وقوله تعالى (بأيدى سفرة) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد : هى الملائكة . وقال وهب بن منبه هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هم القراء وقال ابن جريج عن عباس السفرة بالنبطية القراء ، وقال ابن جرير والصحيح أن السفرة الملائكة والسفرة يعنى بين الله تعالى وبين خلقه ومنه يقال السفير الذى يسعى بين الناس فى الصلح والخير كما قال الشاعر :

وما أدع السفارة بين قومى ... وما أمشى بغش إن مشيت

وقال البخارى : سفرة : الملائكة ، سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحى الله تعالى وتأديته كالسفير الذى يصلح بين القوم وقوله تعالى (كرام بررة) أى خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة ومن ههنا ينبغى لحامل القرآن أن يكون فى أفعاله وأقواله على السداد والرشاد . قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا هشام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرؤه وهو عليه شاق، له أجران » أخرجه الجماعة من طريق قتادة به

﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

يقول تعالى ذاما لمن أنكر البعث والنشور من بنى آدم (قتل الإنسان ما أكفره) قال الضحاك عن ابن عباس (قتل الإنسان) لعن الإنسان ، وكذا قال أبو مالك وهذا لجنس الإنسان الكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم ، قال ابن جريج (ما أكفره) أى ما أشد كفره ، وقال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد أى شىء جعله كافراً أى ما حمله على التكذيب بالمعاد . وقد حكاه البغوى عن مقاتل والكلبى وقال قتادة (ما أكفره) ما ألعنه ، ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشىء الحقير وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى (من أى شىء خلقه؟

من نطفة خلقه فقدره) أى قدر أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد (ثم السبيل يسره) قال العوفى عن ابن عباس ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه ، وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقتادة والسدى واختاره ابن جرير وقال مجاهد هذه كقوله تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) أى بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه، وكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الأرجح والله أعلم وقوله تعالى (ثم أماته فأقبره) أى أنه بعد خلقه له أماته فأقبره أى جعله ذا قبر والعرب تقول قبرت الرجل إذا ولى ذلك منه ، وأقبره الله ، وعضبت قرن الثور وأعضبه الله وبترت ذنب البعير وابتره الله ، وطردت عنى فلاناً وأطرده الله ، أى جعله طريدا ، قال الأعشى

لو أسندت ميتا إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر

وقوله تعالى (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والنشور (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) ، (وانظر إلى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أصبغ بن الفرج أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح أخبره عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال « يأكل التراب كل شىء من الإنسان إلا عجب ذنبه » قيل وما هو يارسول الله ؟ قال « مثل حبة خردل منه تنشأون » وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين من رواية الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة بدون هذه الزيادة ولفظه « كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » . وقوله تعالى (كلا لما يقض ماأمره) قال ابن جرير يقول جل ثناؤه كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه فى نفسه وماله (لما يقض ما أمره) يقول لم يؤد ما فرض عليه عز وجل من الفرائض لربه عز وجل. ثم روى هو وابن أبى حاتم من طريق ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تعالى (كلا لم يقض ما أمره) قال لا يقضى أحد أبدا كل ما افترض عليه، وحكاه البغوى عن الحسن البصرى بنحو من هذا ، ولم أجد للمتقدمين فيه كلا ما سوى هذا ، والذى يقع لى فى معنى ذلك والله أعلم أن المعنى (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه (كلا لما يقض ما أمره) أى لا يفعله الآن حتى تنقضى المدة ويفرغ القدر من بنى آدم ممن كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا وقد أمر به تعالى كونا وقدرا فاذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم وقد روى ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه قال : قال عزير عليه السلام قال الملك الذى جاءنى فان القبور هى بطن الأرض ، وإن الأرض هى أم الخلق فاذا خلق الله ما أراد أن يخلق وتمت هذه القبور التى مد الله لها انقطعت الدنيا ومات من عليها ولفظت الأرض مافى جوفها وأخرجت القبور مافيها ، وهذا شبيه بما قلنا من معنى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. وقوله تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) فيه امتنان وفيه استدلال باحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا (أنا صببنا الماء صبا) أى أنزلناه من السماء على الأرض (ثم شققنا الأرض شقا) أى أسكناه فيها فيدخل فى تخومها وتخلل فى أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا) فالحب كل مايذكر من الحبوب والعنب معروف والقضب هو الفصفصة التى تأكلها الدواب رطبة ويقال لها القت أيضا قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى ، وقال الحسن البصرى :القضب العلف (وزيتونا) وهو معروف وهو أدم وعصيره أدم ويستصبح به ويدهن به (ونخلا) يؤكل بلحا بسرا ورطبا وتمرا ونيئا ومطبوخا ويعتصر منه رب وخل (وحدائق غلبا):أى بساتين قال الحسن وقتادة :غلبا نخل غلاظ كرام ، وقال ابن عباس ومجاهد كل ماالتف واجتمع وقال ابن عباس أيضا غلبا الشجر الذى يستظل به، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وحدائق غلبا) أى طوال ، وقال عكرمة غلبا أى غلاظ الأوساط. وفى رواية غلاظ الرقاب، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل والله إنه لأغلب ، رواه ابن أبى حاتم وأنشد ابن جرير للفرزدق

عوى فأثار أغلب ضيغميا فويل ابن المراعة ما استثار

وقوله تعالى (وفاكهة وأبا) أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار قال ابن عباس الفاكهة كل ما أكل رطبا والأب ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس ، وفى رواية عنه هو الحشيش البهائم وقال مجاهد وسعيد بن جبير

وأبو مالك : الأب الكلأ وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد : الأب للبهائم كالفاكهة لبنى آدم ، وعن عطاء كل شىء نبت على وجه الأرض فهو أب ، وقال الضحاك كل شىء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب

وقال ابن إدريس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس : الأب نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس. ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن إدريس ثم قال حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا حدثنا ابن إدريس حدثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير قال عدّ ابن عباس وقال : الأب : ما أنبتت الأرض للأنعام وهذا لفظ حديث أبى كريب. وقال أبو السائب فى حديثه ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام ، وقال العوفى عن ابن عباس : الأب الكلأ والمرعى ، وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمد بن زيد حدثنا العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمى قال سئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إن قلت فى كتاب الله مالا أعلم ، وهذا منقطع بين إبراهيم التيمى والصديق رضى الله عنه . فأما ما رواه ابن جرير حيث قال : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبى عدى حدثنا حميد عن أنس قال : قرأ عمر ابن الخطاب رضى الله عنه (عبس وتولى) فلما أتى على هذه الآية (وفاكهة وأبا) قال قد عرفنا الفاكهة فما الأب ؟. فقال لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس به، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا) وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أى عيشة لكم ولأنعامكم فى هذه الدار إلى يوم القيامة

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾

قال ابن عباس : الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده . قال ابن جرير لعله اسم للنفخة فى الصور وقال البغوى : الصاخة يعنى صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أى تبالغ فى اسماعها حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) أى يراهم ويفر منهم ويتبعدمنهم لأن الهول عظيم والخطب جليل قال عكرمة : يلقى الرجل زوجته فيقول لها يا هذه أى بعل كنت لك ؟ فتقول نعم البعل كنت وتثنى بخير ما استطاعت فيقول لها فإنى أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لى لعلى أنجو مما ترين فتقول له ما أيسر ما طلبت ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذى تخاف . قال وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول يا بنى أى والد كنت لك؟ فيثنى بخير . فيقول له يا بنى إنى احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلى أنجو بها مما ترى . فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكنى أتخوف مثل الذى تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا يقول الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) . وفى الحديث الصحيح فى أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله فى الخلائق يقول نفسى نفسى لا أسألك اليوم إلا نفسى حتى إن عيسى بن مريم يقول لا أسأله اليوم إلا نفسى لا أسأله مريم التى ولدتنى ولهذا قال تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) قال قتادة الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم . وقوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أى هو فى شغل شاغل عن غيره، قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا الوليد بن صالح حدثنا ثابت أبو زيد العبادانى عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا » قال : فقالت زوجته يا رسول الله ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ـ أو قال : ما أشغله عن النظر ـ »

وقد رواه النسائى منفردا به عن أبى داود عن عارم عن ثابت بن يزيد وهو ابن زيد الأحول البصرى أحد الثقات عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به . وقد رواه الترمذى عن عبد الله بن حميد عن محمد بن الفضل عن ثابت بن زيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تحشرون حفاة عراة غرلا » فقالت امرأة أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال « يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ثم قال الترمذى وهذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن ابن عباس رضى الله عنهما، وقال النسائى أخبرنى عمرو بن عثمان حدثنا بقية حدثنا الزبيدى أخبرنى الزهرى عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » فقالت عائشة : يا رسول الله فكيف بالعورات ؟ فقال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » انفرد به النسائى من هذا الوجه ، ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أزهر بن حاتم حدثنا الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس بن مالك قال سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، إنى سائلتك عن حديث فتخبرنى أنت به قال « إن كان عندى منه علم » قالت يانبي الله كيف يحشر الرجال ! قال « حفاة عراة » ثم انتظرت ساعة فقالت : يا رسول الله كيف يحشر النساء ؟ قال « كذلك حفاة عراة » قالت : واسوأتاه من يوم القيامة قال « وعن أى ذلك تسألين إنه قد نزل على آية لا يضرك كان عليك ثياب أولا يكون » قالت أية آية هى يا نبي الله قال (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وقال البغوى فى تفسيره أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرنى الحسين بن محمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا ابن أبى أويس حدثنا أبى عن محمد بن أبى عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان » فقلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض . فقال « قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا وهكذا رواه ابن جرير عن أبى عمار الحسين بن حريث المروزى عن الفضل بن موسى به ولكن قال أبو حاتم الرازى عائذ بن شريح ضعيف فى حديثه ضعف ، وقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) أى يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة أى مستنيرة (ضاحكة مستبشرة) أى مسرورة فرحة من السرور فى قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة (ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة) أى يعلوها وتغشاها قترة أى سواد ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا سهل بن عثمان العسكرى حدثنا أبو على محمد مولى جعفر بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم » قال فهو قوله تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) وقال ابن عباس (ترهقها قترة) أى يغشاها سواد الوجوه وقوله تعالى (أولئك هم الكفرة الفجرة) أى الكفرة قلوبهم الفجرة فى أعمالهم كما قال تعالى (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) . آخر تفسير سورة عبس ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة التكوير وهى مكية)

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عبد الله بن بحير القاص أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعانى أخبره أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ (إذا الشمس كورت) و(إذا السماء انفطرت) و (إذا السماء انشقت) وهكذا رواه الترمذى عن العباس بن عبد العظيم العنبرى عن عبد الرزاق به

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَىِّ ذَنۢبٍ

قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (إذا الشمس كورت) يعنى أظلمت وقال العوفى عنه : ذهبت وقال مجاهد اضمحلت وذهبت وكذا قال الضحاك وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير كورت غورت وقال الربيع بن خيثم كورت يعنى رمى بها وقال أبو صالح كورت ألقيت وعنه أيضا نكست وقال زيد بن أسلم تقع فى الأرض قال ابن جرير والصواب من القول عندنا فى ذلك أن التكوير جمع الشىء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض فمعنى قوله تعالى (كورت) جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودى حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس إذا الشمس كورت قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ويبعث الله ريحا دبورا فتضرمها نارا وكذا قال عامر الشعبى ، ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح حدثنى معاوية بن صالح عن ابن يزيد بن أبى مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال فى قول الله (إذا الشمس كورت) قال « كور فى جهنم » ، وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا موسى بن محمد بن حيان حدثنا درست بن زياد حدثنا يزيد الرقاشى حدثنا أنس قال : قال رسول الله ﷺ « الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار » هذا حديث ضعيف لأن يزيد الرقاشى ضعيف ، والذى رواه البخارى فى الصحيح بدون هذه الزيادة ثم قال البخارى حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز ابن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » انفرد به البخارى وهذا لفظه وانما أخرجه فى كتاب بدء الخلق وكان جديرا أن يذكره ههنا أو يكرره كما هى عادته فى أمثاله وقد رواه البزار فجود إيراده فقال حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادى حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسرى فى هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس اليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن الشمس والقمر ثوران فى النار عقيران يوم القيامة » فقال الحسن وما ذنبهما ؟ فقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول أحسبه قال وماذنبهما ثم قال لا يروى عن أبى هريرة إلا من هذا الوجه ولم يرو عبد الله الداناج عن أبى سلمة سوى هذا الحديث وقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) أى انتثرت كما قال تعالى (وإذا الكواكب انتثرت) وأصل الانكدار الانصباب . قال الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم فى بعض (وإذا الوحوش حشرت) قال اختلطت (وإذا العشار عطلت) قال أهملها أهلها (وإذا البحار سجرت) قال : قالت الجن نحن نأتيكم بالخبر قال فانطلقوا إلى البحر فاذا هو نار تتأجج ، قال فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم . رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبى حاتم ببعضه وهكذا قال مجاهد والربيع بن خيثم والحسن البصرى وأبو صالح وحماد بن أبى سليمان والضحاك فى قوله جل وعلا (وإذا النجوم انكدرت) أى تناثرت ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وإذا النجوم انكدرت) أى تغيرت . وقال يزيد بن أبى مريم عن النبى صلى الله عليه وسلم (وإذا النجوم انكدرت) قال « انكدرت فى جهنم وكل من عبد من دون الله فهو فى جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها » رواه ابن أبى حاتم بالاسناد المتقدم ، وقوله تعالى (وإذا الجبال سيرت) أى زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعا صفصفا وقوله (وإذا العشار عطلت) قال عكرمة ومجاهد : عشار الإبل ، قال مجاهد:

عطلت تركت وسيبت وقال أبي بن كعب والضحاك أهملها أهلها وقال الربيع بن خيثم لم تحلب ولم تصر تخلى منها أربابها وقال الضحاك تركت لاراعى لها والمعنى فى هذا كله متقارب ، والمقصود أن العشار من الإبل وهى خيارها والحوامل منها التى قد وصلت فى حملها إلى الشهر العاشر ـ واحدتها عشراء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع ـ قداشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم الفظع الهائل وهو أمر يوم القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها وقيل بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لاسبيل لهم اليها ، وقد قيل فى العشار إنها السحاب تعطل عن المسير بين السماء والأرض لخراب الدنيا وقيل إنها الأرض التى تعشر ، وقيل انها الديار التى كانت تسكن تعطلت لذهاب أهلها . حكى هذه الأقوال كلها الامام أبوعبدالله القرطبى فى كتابه التذكرة ورجح أنها الإبل وعزاه إلى أكثر الناس ﴿ قلت ﴾ لايعرف عن السلف والأئمة سواه والله أعلم وقوله تعالى (وإذا الوحوش حشرت) أى جمعت كماقال تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) قال ابن عباس يحشر كل شيء حتى الذباب رواه ابن أبى حاتم وكذا قال الربيع بن خيثم والسدى وغير واحد ، وكذا قال قتادة فى تفسير هذه الآية إن هذه الخلائق موافية فيقضى الله مافيها مايشاء ، وقال عكرمة حشرها موتها وقال ابن جرير حدثنى على بن مسلم الطوسى حدثنا عباد بن العوام حدثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (وإذا الوحوش حشرت) قال حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فانهما يوقفان يوم القيامة حدثنا أبوكريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبى يعلى عن الربيع بن خيثم (وإذا الوحوش حشرت) قال أتى عليها أمر الله ، قال سفيان قال أبى فذكرته لعكرمة فقال قال ابن عباس حشرها موتها وقد تقدم عن أبى بن كعب أنه قال (وإذا الوحوش حشرت) اختلطت قال ابن جرير والأولى قول من قال حشرت جمعت قال الله تعالى (والطير محشورة) أى مجموعة ، وقوله تعالى (وإذا البحار سجرت) قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن سعيد بن المسيب قال : قال على رضى الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم ؟ قال البحر فقال ما أراه إلا صادقا والبحر المسجور (وإذا البحار سجرت) وقال ابن عباس وغير واحد يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير نارا تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى (والبحر المسجور) وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبوطاهر حدثنى عبد الجبار بن سليمان أبوسليمان النفاط ـ شيخ صالح يشبه مالك بن أنس ـ عن معاوية بن سعيد قال إن هذا البحر بركة ـ يعنى بحر الروم ـ وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه وأسفله آبار مطبقة بالنحاس فاذا كان يوم القيامة أسجر وهذا أثر غريب عجيب وفى سنن أبى داود « لايركب البحر إلا حاج أومعتمر أو غاز فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا » الحديث وقد تقدم الكلام عليه فى سورة فاطر . وقال مجاهد والحسن بن مسلم : سجرت أوقدت وقال الحسن : يبست وقال الضحاك وقتادة : غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة ، وقال الضحاك أيضا سجرت فجرت ، وقال السدى فتحت وصيرت ، وقال الربيع بن خيثم سجرت فاضت ، وقوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أى جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن الصباح البزار حدثنا الوليد بن أبى ثور عن سماك عن النعمان بن بشير أنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم « (وإذا النفوس زوجت) ـ قال ـ الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » وذلك بأن الله عز وجل يقول (وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون) قال هم الضرباء ، ثم رواه ابن أبى حاتم من طرق أخر عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ (وإذا النفوس زوجت) فقال تزوجها أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم ، وفى رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار وفى رواية عن النعمان قال سئل عمر عن قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار فذلك تزويج الأنفس . وفى رواية عن النعمان

أن عمر قال للناس : ماتقولون فى تفسير هذه الآية (وإذا النفوس زوجت) ؟ فسكتوا . قال ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد (وإذا النفوس زوجت) قال الأمثال من الناس جمع بينهم ؛ وكذا قال الربيع بن خيثم والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وهو الصحيح .

﴿ قول آخر ﴾ فى قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنى أبى عن أبيه عن أشعث بن سرار عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يسيل وادمن أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ومقدار ما بينهما أربعون عاما فينبت منه كل خلق بلى من الإنسان أوطير أودابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الأرض قد نبتوا ثم توسل الأرواح فتزوج الأجساد فذلك قول الله تعالى (وإذا النفوس زوجت) وكذا قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبى والحسن البصرى أيضا فى قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أى زوجت بالأبدان . وقيل زوج المؤمنون بالحور العين وزوج الكافرون بالشياطين . حكاه القرطبى فى التذكرة وقوله تعالى (وإذا الموءودة سئلت * بأى ذنب قتلت) هكذا قراءة الجمهور سئلت . والموءودة هى التى كان أهل الجاهلية يدسونها فى التراب كراهية النبات ، فيوم القيامة تسئل الموءودة على أى ذنب قتلت ليكون ذلك تهديدا لقاتلها فانه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا ! وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وإذا الموءودة سئلت) أى سألت . وكذا قال أبو الضحى سألت أى طالبت بدمها . وعن السدى وقتادة مثله . وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبى أيوب حدثنى أبو الأسود وهو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن عائشة عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس وهو يقول « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت فى الروم وفارس فاذاهم يغيلون أولادهم ولايضر أولادهم ذلك شيئا » ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذلك الوأد الخفى وهو الموءودة سئلت » ورواه مسلم من حديث أبى عبد الرحمن القرى وهو عبد الله بن يزيد عن سعيد بن أبى أيوب . ورواه أيضا ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يحيى بن إسحاق السيلحينى عن يحيى بن أيوب ، ورواه مسلم أيضا وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث مالك بن أنس ثلاثتهم عن أبى الأسود به

وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبى عدى عن داود ابن أبى هند عن الشعبى عن علقمة عن سلمة بن يزيد الجعفى قال: انطلقت أنا وأخى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقرى الضيف وتفعل، هلكت فى الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا ! قال « لا » قلنا فانها كانت وأدت أختا لنا فى الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال « الوائدة والموءودة فى النار إلا أن يدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها » ورواه النسائى من حديث داود بن أبى هند به . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن علقمة وأبى الأحوص عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الوائدة والموءودة فى النار » وقال أحمد أيضا : حدثنا إسحاق الأزرق أخبرنا عوف حدثتنى خنساء ابنة معاوية الصريمية عن عمها قال: قلت يارسول الله من فى الجنة ! قال « النبى فى الجنة والشهيد فى الجنة والمولود فى الجنة والموءودة فى الجنة »

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا قرة قال سمعت الحسن يقول: قيل يارسول الله من فى الجنة! قال « الموءودة فى الجنة » هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ومنهم من قبله . وقال ابن أبى حاتم حدثنى أبو عبد الله الظهرانى حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال : قال ابن عباس أطفال المشركين فى الجنة فمن زعم أنهم فى النار فقد كذب يقول الله تعالى (وإذا الموءودة سئلت * بأى ذنب قتلت) قال ابن عباس هى المدفونة. وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب فى قوله تعالى (وإذا

للموءودة سئلت) قال جاء قيس بن عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى وأدت بنات لى فى الجاهلية قال « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » قال يارسول الله إنى صاحب إبل قال « فانحر عن كل واحدة منهن بدنة » قال الحافظ أبو بكر البزار خولف فيه عبد الرزاق ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدى عنه ، وقد رواه ابن أبى حاتم فقال أخبرنا أبو عبد الله الظهرانى فيما كتب إلى قال حدثنا عبد الرزاق فذكره باسناده مثله ، إلا أنه قال: وأدت ثمان بنات لى فى الجاهلية وقال فى آخره « فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة » ثم قال حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال قدم قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى وأدت اثنتى عشرة ابنة لى فى الجاهلية أو ثلاث عشرة قال « أعتق عددهن نسما » قال فأعتق عددهن نسما ، فلما كان فى العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يارسول الله هذه صدقة قومى على أثر ماصنعت بالمسلمين قال على ابن أبى طالب فكنا نريحها ونسميها القيسية . وقوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال الضحاك أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله وقال قتادة يا ابن آدم تملى فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملى فى صحيفته

وقوله تعالى (وإذا السماء كشطت) قال مجاهد اجتذبت وقال السدى كشفت وقال الضحاك تنكشط فتذهب . وقوله تعالى (وإذا الجحيم سعرت) قال السدى أحميت وقال قتادة أوقدت قال وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بنى آدم . وقوله تعالى (وإذا الجنة أزلفت) قال الضحاك وأبو مالك وقتادة والربيع بن خيثم أى قربت إلى أهلها ، وقوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت) هذا هو الجواب أى إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) وقال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبدة حدثنا ابن المبارك حدثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن أبيه قال لما نزلت (إذا الشمس كورت) قال عمر لما بلغ (علمت نفس ما أحضرت) قال لهذا أجرى الحديث .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

روى مسلم فى صحيحه والنسائى فى تفسيره عند هذه الآيه من حديث مسعر بن كدام عن الوليد بن سريع عن عمرو بن حريث قال صليت خلف النبى صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعته يقرأ (فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس * والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس) ورواه النسائى عن بندار عن غندر عن شعبة عن الحجاج بن عاصم عن أبى الأسود عن عمرو بن حريث به نحوه قال ابن أبى حاتم وابن جرير من طريق الثورى عن ابى إسحاق عن رجل من مراد عن على (فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس) قال هى النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت خلد بن عرعرة سمعت عليا وسئل عن لاأقسم بالخنس الجوار الكنس فقال هى النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن خالد عن على قال هى النجوم وهذا إسناد جيد صحيح الى خالد بن عرعرة وهو السهمى الكوفى قال أبو حاتم الرازى روى عن على وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيبانى ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا فالله أعلم ، وروى يونس عن أبى إسحاق عن الحارث عن على أنها النجوم رواه ابن أبى حاتم وكذا روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة

والسدى وغيرهم أنها النجوم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن بكر بن عبدالله فى قوله تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) قال هى النجوم الدراري التى تجرى تستقبل المشرق وقال بعض الأئمة إنما قيل للنجوم الخنس أى فى حال طلوعها ثم هى جوار فى فلكها وفى حال غيبوبتها يقال لها كنس من قول العرب أوى الظبي إلى كناسه إذا تغيب فيه وقال الأعمش عن إبراهيم قال : قال عبدالله فلاأقسم بالخنس قال بقر الوحش وكذا قال الثورى عن أبى إسحاق عن أبى ميسرة عن عبدالله فلاأقسم بالخنس الجوار الكنس ماهى ياعمرو ؟ قلت البقر قال وأنا أرى ذلك وكذا روى يونس عن أبى إسحاق عن أبيه وقال أبوداود الطيالسى عن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الجوار الكنس قال البقر تكنس إلى الظل وكذا قال سعيد بن جبير ، وقال العوفى عن ابن عباس هى الظباء وكذا قال سعيد أيضا ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد هى الظباء والبقر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) فقال إبراهيم لمجاهد قل فيها بما سمعت ، قال: فقال مجاهد كنا نسمع فيها شيئا وناس يقولون إنها النجوم قال فقال إبراهيم قل فيها بما سمعت ، قال فقال مجاهد كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس فى حجرتها ، قال فقال إبراهيم إنهم يكذبون علىّ على هذا كاروا عن على أنه ضمن الأسفل الأعلى والأعلى الأسفل ، وتوقف ابن جرير فى المراد بقوله (الخنس الجوار الكنس) هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش قال ويحتمل أن يكون الجميع مرادا ، وقوله تعالى (والليل إذا عسعس) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ إقباله بظلامه قال مجاهد أظلم وقال سعيد بن جبير إذا نشأ ، وقال الحسن البصرى إذا غشى الناس ، وكذا قال عطية العوفى وقال على بن أبى طلحة والعوفى عن ابن عباس (إذا عسعس) إذا أدبر ، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبدالرحمن (إذا عسعس) أى إذا ذهب فتولى

وقال أبوداود الطيالسى حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى البحترى سمع أباعبد الرحمن السلمى قال : خرج علينا على رضى الله عنه حين ثوب المثوب بصلاة الصبح فقال : أين السائلون عن الوتر (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس ؟) هذا حين أدبر حسن . وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله (إذا عسعس) إذا أدبر قال لقوله (والصبح إذا تنفس) أى أضاء واشتشهد بقول الشاعر أيضا :

حتى إذا الصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

أى أدبر وعندى أن المراد بقوله (إذا عسعس) إذا أقبل وإن كان يصح استعماله فى الإدبار أيضا لكن الاقبال ههنا أنسب كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل وبالفجر وضيائه إذا أشرق كما قال تعالى (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (والضحى والليل إذا سجى) وقال تعالى (فالق الإصباح وجعل الليل سكناً) وغير ذلك من الآيات ، وقال كثير من علما الأصول إن لفظة عسعس تستعمل فى الاقبال والإدبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما والله أعلم . قال ابن جرير وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم ، وقال الفراء كان أبو البلاد النحوى ينشد بيتاً :

عسعس حتى لو يشا أدنى كان له من ضوئه مقبس

يريد لو يشاء إذ دنا أدغم الذال فى الدال ؟ قال الفراء وكانوا يزعمون أن هذا البيت مصنوع . وقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) قال الضحاك إذا طلع ، وقال قتادة إذا أضاء وأقبل وقال سعيد بن جبير إذا نشأ وهو المروى عن على رضى الله عنه . وقال ابن جرير يعنى ضوء النهار إذا أقبل وتبين . وقوله تعالى (إنه لقول رسول كريم) يعنى إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم أى ملك شريف حسن الخلق بهى المنظر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس والشعبي وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم (ذى قوة) كقوله تعالى (علمه شديد القوى * ذومرة) أى شديد الخلق شديد البطش والفعل (عند ذى العرش مكين) أى له مكانة عند الله عزوجل ومنزلة رفيعة ، قال أبو صالح فى قوله تعالى (عند ذى العرش مكين) قال جبريل يدخل فى سبعين حجابا من نور بغير إذن (مطاع ثم) أى له وجاهة وهو مسموع القول مطاع فى الملأ الأعلى قال قتادة (مطاع ثم) أى فى السموات يعنى ليس هو من أفناد الملائكة بل هو من السادة والأشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة

وقوله تعالى (أمين) صفة لجبريل بالأمانة وهذا عظيم جدا أن الرب عز وجل يزكى عبده ورسوله الملكى جبريل كما زكى عبده ورسوله البشرى محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وماصاحبكم بمجنون) قال الشعبى وميمون ابن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم المراد بقوله (وما صاحبكم بمجنون) يعنى محمدا ﷺ ، وقوله تعالى (ولقد رآه بالأفق المبين) يعنى ولقد رأى محمد جبريل الذى يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح (بالأفق المبين) أى البين وهى الرؤية الأولى التى كانت بالبطحاء وهى المذكورة فى قوله (علمه شديد القوى . ذومرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أوأدنى . فأوحى إلى عبده ماأوحى) كما تقدم تفسير ذلك وتقريره والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل عليه السلام ، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهى الأولى ، وأما الثانية وهى المذكورة فى قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة مايغشى) فتلك إنما ذكرت فى سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الإسراء . وقوله تعالى (وما هو على الغيب بظنين) أى وما محمد على ما أنزله الله اليه بظنين أى بمتهم . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أى ببخيل بل يبذله لكل أحد . قال سفيان بن عيينة ظنين وضنين سواء أى ماهو بكاذب وما هو بفاجر . والظنين المتهم والضنين البخيل . وقال قتادة كان القرآن غيبا فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده ، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد ﴿ قلت ﴾ وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم ، وقوله تعالى (وما هو بقول شيطان رجيم) أى وماهذا القرآن بقول شيطان رجيم أى لايقدر على حمله ولايريده ولاينبغى له كما قال تعالى (وما تنزلت به الشياطين . وماينبغى لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون) ، وقوله تعالى (فأين تذهبون ؟) أى فأين تذهب عقولكم فى تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضى الله عنه لوفد بنى حنيفة حين قدموا مسلمين وأسرهم فنلوا عليه شيئا من قرآن مسيلمة الكذاب الذى هو فى غاية الهذيان والركاكة فقال : ويحكم أين تذهب عقولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل ، أى من إله ، وقال قتادة (فأين تذهبون) أى عن كتاب الله وعن طاعته

وقوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) أى هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون (لمن شاء منكم أن يستقيم) أى من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فانه مناجاة له وهداية ، ولاهداية فيما سواه (وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أى ليست المشيئة موكولة اليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين . قال سفيان الثورى عن سعيد بن عبدالعزيز عن سليمان بن موسى: لما نزلت هذه الآية (لمن شاء منكم أن يستقيم) قال أبو جهل : الأمر الينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى (وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين). آخر تفسير سورة التكوير ولله الحمد والمنة.

﴿ تفسير سورة الانفطار وهى مكية ﴾

قال النسائى أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جرير عن الأعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال: قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبى ﷺ « أفتان أنت يامعاذ ؟ أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى ، والضحى ، وإذا السماء انفطرت ! » وأصل الحديث مخرج فى الصحيحين ولكن ذكر (إذا السماء انفطرت) فى أفراد النسائى . وقد تقدم من رواية عبدالله بن عمر عن النبى ﷺ قال « من سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنفَطَرَتْ * وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ *

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

يقول تعالى (إذا السماء انفطرت) أى انشقت كما قال تعالى (السماء منفطر به) (وإذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت (وإذا البحار فجرت) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فجر الله بعضها فى بعض وقال الحسن فجر الله بعضها فى بعض فذهب ماؤها ، وقال قتادة اختلط عذبها بمالحها .

وقال الكلبى ملئت (وإذا القبور بعثرت) قال ابن عباس بحثت ، وقال السدى تبعثر تحرك فيخرج من فيها (علمت نفس ما قدمت وأخرت) أى إذا كان هذا حصل هذا ، وقوله تعالى (يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ؟) هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه بل المعنى فى هذه الآية ماغرك يا ابن آدم بربك الكريم أى العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق . كما جاء فى الحديث « يقول الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم ما غرك بى ؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟ »

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان أن عمر سمع رجلا يقرأ (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) فقال عمر : الجهل . وقال أيضا حدثنا عمر بن شيبة حدثنا أبو خلف حدثنا يحيى البكاء سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية (يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم) قال ابن عمر غره والله جهله قال وروى عن ابن عباس والربيع بن خيثم والحسن مثل ذلك . وقال قتادة (ما غرك بربك الكريم) شىء ، ماغر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان . وقال الفضيل ابن عياض لو قال لى ما غرك بى لقلت ستورك المرخاة ، وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم . وقال بعض أهل الإشارة إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الاجابة وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغى أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور . وقد حكى البغوى عن الكلبى ومقاتل أنهما قالا نزلت هذه الآية فى الأسود بن شريق ضرب النبى ﷺ ولم يعاقب فى الحالة الراهنة فأنزل الله تعالى (ما غرك بربك الكريم ؟)

وقوله تعالى (الذى خلقك فسواك فعدلك) أى ما غرك بالرب الكريم (الذى خلقك فسواك فعدلك) أى جعلك سويا مستقيما معتدل القامة منتصبا فى أحسن الهيئات والأشكال ، قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا جرير حدثنى عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش القرشى أن رسول الله ﷺ بصق يوما فى كفه فوضع عليها اصبعه ثم قال « قال الله عز وجل : يا ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة ؟ » وكذا رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون عن جرير بن عثمان به قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى وتابعه يحيى بن حمزة عن ثور بن يزيد عن عبد الرحمن بن ميسرة وقوله تعالى (فى أى صورة ما شاء ركبك) قال مجاهد فى أى شبه أب أو أم أو خال أو عم . وقال ابن جرير حدثنى محمد بن سنان القزاز حدثنا مطهر بن الهيثم حدثنا موسى بن على بن رباح حدثنى أبى عن جدى أن النبى ﷺ قال له « ما ولد لك » قال يا رسول الله ما عسى أن يولد لى إما غلام وإما جارية . قال « فمن يشبه » قال يا رسول الله من عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه فقال النبى ﷺ عندها « مه لا تقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ؟ أما قرأت هذه الآية فى كتاب الله تعالى فى أى صورة ما شاء ركبك » قال شكلك

وهكذا رواه ابن أبى حاتم والطبرانى من حديث مطهر بن الهيثم به وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا فى هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس كان متروك الحديث وقال ابن حبان :

يروى عن موسى بن على وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات ولكن فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إن امرأتى ولدت غلاما أسود ، قال « هل لك من إبل ؟ » قال نعم ، قال « فما ألوانها » قال حمر. قال « فهل فيها من أورق » قال نعم ، قال « فأنى أتاها ذلك » قال عسى أن يكون نزعه عرق قال « وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » وقد قال عكرمة فى قوله تعالى (فى أى صورة ماشاء ركبك) إن شاء فى صورة قرد وإن شاء فى صورة خنزير ، وكذا قال أبو صالح (فى أى صورة ماشاء ركبك) إن شاء فى صورة كلب وإن شاء فى صورة حمار وإن شاء فى صورة خنزير وقال قتادة (فى أى صورة ما شاء ركبك) قال قادر والله ربنا على ذلك ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة . وقوله تعالى (كلا بل تكذبون بالدين) أى إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصى تكذيب فى قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب ، وقوله تعالى (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون) يعنى وإن عليكم لملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح فانهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسعر عن علقمة ابن مرثد عن مجاهد قال : قال رسول الله ﷺ « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند احدى حالتين الجنابة والغائط . فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه » . وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان عن علقمه بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله ينهاكم عن التعرى فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند احدى ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببعيره » ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث وقد روى عنه واحتمل حديثه . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا زياد بن أيوب حدثنا ميسرة بن إسماعيل الحلبى حدثنا تمام بن نجيح عن الحسن يعنى البصرى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا فى يوم فيرى فى أول الصحيفة وفى آخرها استغفارا إلا قال الله تعالى قد غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة » ثم قال تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث ﴿ قلت ﴾ وثقه ابن معين وضعفه البخارى وأبو زرعة وابن أبى حاتم والنسائى وابن عدى ورماه ابن حبان بالوضع وقال الإمام أحمد لا أعرف حقيقة أمره. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادى المعروف بالفلوسى حدثنا بيان بن حمران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يعرفون بنى آدم - وأحسبه قال ويعرفون أعمالهم - فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا أفلح الليلة فلان . نجا الليلة فلان وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك الليلة فلان » ثم قال البزار : سلام هذا ، أحسبه سلام المدائنى وهو لين الحديث

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصى وقد روى ابن عساكر فى ترجمة موسى بن محمد عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس بن أبى إسحاق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال « إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء » ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال (يصلونها يوم الدين) أى يوم الحساب والجزاء والقيامة (وما هم عنها بغائبين) أى

لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوما واحدا ، وقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكده بقوله تعالى (ثم ما أدراك ما يوم الدين) ثم فسره بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أى لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، ونذكر ههنا حديث « يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئا » وقد تقدم فى آخر تفسير سورة الشعراء ولهذا قال (والأمر يومئذ لله) كقوله (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) وكقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن) وكقوله (مالك يوم الدين) قال قتادة (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) والأمر والله اليوم لله ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد . آخر تفسير سورة الانفطار ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة المطففين وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

قال النسائى وابن ماجه أخبرنا محمد بن عقيل زاد ابن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قالا: حدثنا على بن الحسين بن واقد حدثنى أبى عن يزيد وهو ابن أبى سعيد النحوى مولى قريش عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما قدم النبى ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى (ويل للمطففين) فحسنوا الكيل بعد ذلك . وقال ابن أبى حاتم حدثنا جعفر بن النضر بن حماد حدثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن هلال بن طلق قال بينا أنا أسير مع ابن عمر فقلت من أحسن الناس هيئة وأوفاهم كيلا أهل مكة وأهل المدينة قال حق لهم أما سمعت الله تعالى يقول (ويل للمطففين) وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله المكتب عن رجل عن عبد الله قال : قال له رجل يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل قال وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى (ويل للمطففين — حتى بلغ — يوم يقوم الناس لرب العالمين) والمراد بالتطفيف ههنا البخس فى المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالى (الذين إذا اكتالوا على الناس) أى من الناس (يستوفون) أى يأخذون حقهم بالوافى والزائد (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أى ينقصون ، والأحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعديا ويكون هم فى محل نصب ، ومنهم من يجعلها ضمير امؤكدا المستتر فى قوله كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه وكلاهما متقارب . وقد أمر الله تعالى بالوفاء فى الكيل والميزان فقال تعالى (وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم * ذلك خير وأحسن تأويلا) وقال تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها) وقال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس فى الميزان والمكيال . ثم قال تعالى متوعدا لهم (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم ؟) أى ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر فى يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب من خسر فيه أدخل نارا حامية ؟ وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أى يقومون حفاة عراة غرلا فى موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه

قال الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال « يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه » رواه البخارى من حديث مالك وعبد الله بن عون كلاهما عن نافع به ورواه مسلم من الطريقين أيضا ، وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبيد الله ابنا عمر ومحمد بن إسحق عن نافع عن ابن عمر به ولفظ الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا ابن إسحق عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول « يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف

آذانهم ﴿حديث آخر﴾ قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحق حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنى سليم بن عامر حدثنى المقداد يعنى ابن الأسود الكندى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين — قال — فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق كقدر أعمالهم ، منهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاما » رواه مسلم عن الحكم بن موسى عن يحيى بن حمزة والترمذى عن سويد عن ابن المبارك كلاهما عن ابن جابر به

﴿حديث آخر﴾ قال الإمام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح أن أباعبد الرحمن حدثه عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال « تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد فى حرها كذا وكذا ، تغلى منها الهوام كما تغلى القدور يعرقون فيها على قدر خطاياهم ، منهم من يبلغ إلى كعبيه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ومنهم من يبلغ إلى وسطه ، ومنهم من يلجمه العرق » انفرد به أحمد

﴿حديث آخر﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو عشانة حى بن يؤمن أنه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ومنهم من يبلغ العجز ومنهم من يبلغ الخاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ وسط فيه — وأشار بيده فألجمها فاه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده هكذا — ومنهم من يغطيه عرقه » وضرب بيده إشارة ، انفرد به أحمد ، وفى حديث أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون ، وقيل يقومون ثلثمائة سنة وقيل يقومون أربعين ألف سنة ويقضى بينهم فى مقدار عشرة آلاف سنة كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة مرفوعا « فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو عون الزيادى أخبرنا عبد السلام بن عجلان سمعت أبا يزيد المدنى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لبشير الغفارى « كيف أنت صانع فى يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر ؟ » قال بشير : المستعان الله ، قال « فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب » ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به . وفى سنن أبى داود أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة . وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعى رءوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وفاجرهم ، وعن ابن عمر : يقومون مائة سنة رواهما ابن جرير . وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الحرازى عن عاصم بن حميد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل: يكبر عشرا ويحمد عشرا ، ويسبح عشرا ويستغفر عشرا ويقول « اللهم اغفرلى واهدنى وارزقنى وعافنى » ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾

يقول تعالى حقا (إن كتاب الفجار لفى سجين) أى ان مصيرهم ومأواهم لفى سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما يقال فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك ولهذا عظم أمره فقال تعالى (وما أدراك ما سجين ؟) أى هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ، ثم قد قال قائلون: هى تحت الأرض السابعة ، وقد تقدم فى حديث البراء بن عازب فى حديثه

الطويل : يقول الله عز وجل فى روح الكافرا كتبوا كتابه فى سجين. وسجين هى تحت الأرض السابعة وقيل صخرة تحت السابعة خضراء ، وقيل بئر فى جهنم ، وقد روى ابن جرير فى ذلك حديثا غريبا منكرا لا يصح فقال : حدثنا إسحاق بن وهب الواسطى حدثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطى حدثنا نصر بن خزيمة الواسطى عن شعيب ابن صفوان عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الفلق جب فى جهنم مغطى وأما سجين فمفتوح » والصحيح أن سجينا مأخوذ من السجن وهو الضيق فان المخلوقات كل ماتسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع فان الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذى دونه وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التى دونها حتى ينتهى السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز فى وسط الأرض السابعة ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهى أسفل السافلين كما قال تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال ههنا (كلا إن كتاب الفجار لفى سجين وما أدراك ماسجين)وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى (وإذا ألقوا منهامكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) وقوله تعالى (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا لقوله (وما أدراك ماسجين) وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير الى سجين أى مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد . قاله محمد بن كعب القرظى ثم قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) أى إذا صاروا يوم القيامة الى ماأوعدهم الله من السجن والعذاب المهين ، وقد تقدم الكلام على قوله ويل بما أغنى عن إعادته وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال ويل لفلان وكما جاء فى المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له » ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة (الذين يكذبون بيوم الدين) أى لايصدقون بوقوعه ولايعتقدون كونه ويستبعدون أمره ، قال الله تعالى (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم) أى معتد فى أفعاله من تعاطى الحرام والمجاوزة فى تناول المباح والأثيم فى أقواله إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر ، وقوله تعالى (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أى إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل كما قال تعالى (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا أساطير الأولين) وقال تعالى (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) أى ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذى قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ولهذا قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) والرين يعترى قلوب الكافرين والغين للأبرار والغين للمقربين وقد روى ابن جرير والترمذى والنسائى وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت فذلك قول الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) »وقال الترمذى حسن صحيح ولفظ النسائى « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذى قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون)

وقال أحمد حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تعلو قلبه وذاك الران الذى ذكر الله فى القرآن (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) . وقال الحسن البصرى هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت وكذا قال مجاهد بن جبر وقتادة وابن زيد وغيرهم . وقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أى لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم ، قال الإمام أبو عبدالله الشافعى وفى هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عزوجل

يومئذ وهذا الذى قاله الإمام الشافعى رحمه الله فى غاية الحسن وهو استدلال بمفهوم هذه الآية . كما دل عليه منطوق قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة فى رؤية المؤمنين ربهم عز وجل فى الدار الآخرة رؤية بالأبصار فى عرصات القيامة وفى روضات الجنان الفاخرة . وقد قال ابن جرير حدثنا أبو معمر المقرى حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن فى قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر اليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية أو كلاما هذا معناه ، وقوله تعالى (ثم إنهم لصالوا الجحيم) أى ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) أى يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتصغير والتحقير

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾

يقول تعالى حقا إن كتاب الأبرار وهم بخلاف الفجار لفى عليين أى مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين . قال الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن سجين قال هى الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار ، وسأله عن عليين فقال هى السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين وهكذا قال غير واحد إنها السماء السابعة ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين) يعنى الجنة . وفى رواية العوفى عنه أعمالهم فى السماء عند الله وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة عليون ساق العرش اليمنى ، وقال غيره عليون عند سدرة المنتهى والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو ، وكلما علا الشىء وارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظما أمره ومفخما شأنه (وما أدراك ما عليون) ثم قال تعالى مؤكدا لما كتب لهم (كتاب مرقوم يشهده المقربون) وهم الملائكة قاله قتادة ، وقال العوفى عن ابن عباس يشهده من كل سماء مقربوها . ثم قال تعالى (إن الأبرار لفى نعيم) أى يوم القيامة هم فى نعيم مقيم وجنات فيها فضل عميم (على الأرائك) وهى السرر تحت الحجال ينظرون قيل معناه ينظرون فى ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذى لاينقضى ولا يبيد وقيل معناه (على الأرائك ينظرون) إلى الله عز وجل ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم كما تقدم فى حديث ابن عمر « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه مسيرة ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله عز وجل فى اليوم مرتين » وقوله تعالى (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) أى تعرف إذا نظرت اليهم فى وجوههم نضرة النعيم أى صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم . وقوله تعالى (يسقون من رحيق مختوم) أى يسقون من خمر من الجنة والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن سعد أبى المحاصر الطائى عن عطية بن سعد العوفى عن أبى سعيد الخدرى أراه قد رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال « أيما مؤمن سقى مؤمنا شربة ماء على ظمإ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة » وقال ابن مسعود فى قوله (ختامه مسك) أى خلطه مسك ، وقال العوفى عن ابن عباس طيب الله لهم الخمر فكان آخر شىء جعل فيها مسك ختم بمسك ، وكذا قال قتادة والضحاك ، وقال إبراهيم والحسن ختامه مسك أى عاقبته مسك وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط عن أبى

الدرداء (ختامه مسك) قال شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ختامة مسك) قال طيبه مسك. وقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهى ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون) ، وقوله تعالى (ومزاجه من تسنيم) أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أي من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه ، قاله أبو صالح والضحاك ولهذا قال (عينا يشرب بها المقربون) أي يشربها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين مزجا قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ * وَمَآ أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ * فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي محتقرين لهم (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) أي وإذا انقلب أي رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فاكهين أي مهما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحقرونهم ويحسدونهم (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) أي لكونهم على غير دينهم قال الله تعالى (وما أرسلوا عليهم حافظين) أي وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كلفوا بهم ؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم ، كما قال تعالى (اخسئوا فيها ولا تكلمون * إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) ولهذا قال ههنا (فاليوم) يعني يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك (على الأرائك ينظرون) أي إلى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته وقوله تعالى (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟) أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا، يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله. آخر تفسير سورة المطففين ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الانشقاق وهي مكية ﴾

قال مالك عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة أن أبا هريرة قرأ بهم (إذا السماء انشقت) فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها رواه مسلم والنسائي من طريق مالك به . وقال البخاري حدثنا أبو النعمان حدثنا معتمر عن أبيه عن بكر عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ (إذا السماء انشقت) فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه ورواه أيضا عن مسدد عن معتمر به ثم رواه عن مسدد عن يزيد بن زريع عن التيمي عن بكر عن أبي رافع فذكره، وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن سليمان بن طرخان التيمي به وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة زاد النسائي وسفيان الثوري كلاهما عن أيوب بن موسى عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله ﷺ في (إذا السماء انشقت) و (اقرأ باسم ربك الذي خلق)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ

لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ * بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى (إذا السماء انشقت) وذلك يوم القيامة (وأذنت لربها) أى استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الإنشاق وذلك يوم القيامة (وحقت) أى وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذى لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شىء وذل له كل شىء ثم قال (وإذا الأرض مدت) أى بسطت وفرشت ووسعت

قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى عن على بن الحسين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول يا رب إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلى فيقول الله عزوجل صدق ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض - قال - وهو المقام المحمود » . وقوله تعالى (وألقت ما فيها وتخلت) أى ألقت ما فى بطنها من الأموات وتخلت منهم قاله مجاهد وسعيد وقتادة (وأذنت لربها وحقت) كما تقدم . وقوله (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) أى إنك ساع إلى ربك سعيا وعامل عملا (فملاقيه) ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر . ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسى عن الحسن بن أبى جعفر عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « قال جبريل يا محمد عش ما شئت فانك ميت ، وأحبب ما شئت فانك مفارقه . واعمل ماشئت فانك ملاقيه » ومن الناس من يعيد الضمير على قوله ربك أى فملاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك ، وعلى هذا فكلا القولين متلازم قال العوفى عن ابن عباس (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) يقول تعمل عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرا . وقال قتادة (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) إن كدحك يا ابن آدم لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله. ثم قال تعالى (فأما من أوتى كتابه بيمنه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) أى سهلا بلا تعسير أى لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فان من حوسب كذلك هلك لا محالة . وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب عن عبد الله بن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نوقش الحساب عذب » قالت فقلت : أفليس قال الله تعالى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال « ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » وهكذا رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن جرير من حديث أيوب السختيانى به

وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو عامر الخزاز عن ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبا » فقلت أليس الله يقول (فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟) قال « ذاك العرض إنه من نوقش الحساب عذب » وقال بيده على إصبعه كأنه ينكت وقد رواه أيضا عن عمرو بن على عن ابن أبى عدى عن أبى يونس القشيرى عن ابن أبى مليكة عن القاسم عن عائشة فذكر الحديث أخرجاه من طريق أبى يونس القشيرى واسمه حاتم بن أبى صغيرة به قال ابن جرير : وحدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا مسلم عن الحريش بن الخريت أخى الزبير عن ابن أبى مليكة عن عائشة قالت من نوقش الحساب - أو من حوسب - عذب . قال ثم قالت إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم وقال أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا محمد بن إسحاق حدثنى عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ

عليه وسلم يقول فى بعض صلاته « اللهم حاسبنى حسابا يسيرا » فلما انصرف قلت يارسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال « أن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه إنه من نوقش الحساب ياعائشة يومئذ هلك » صحيح على شرط مسلم ، وقوله تعالى (وينقلب إلى أهله مسرورا) أى ويرجع إلى أهله فى الجنة ، قاله قتادة والضحاك: مسروراً أى فرحا مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل . وقد روى الطبرانى عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال إنكم تعملون أعمالا لاتعرف ويوشك الغائب أن يثوب إلى أهله فمسرور أو مكظوم ، وقوله تعالى (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) أى بشماله من وراء ظهره تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك (فسوف يدعو ثبورا) أى خسارا وهلاكا (ويصلى سعيرا * إنه كان فى أهله مسرورا) أى فرحا لا يفكر فى العواقب ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل (إنه ظن أن لن يحور) أى كان يعتقد أنه لايرجع إلى الله ولايعيده بعد موته قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما ، والحور هو الرجوع قال الله (بلى إن ربه كان به بصيرا) يعنى بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها فإنه كان به بصيرا أى عليما خبيرا

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ * فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

روى عن على وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبى هريرة وشداد بن أوس وابن عمر ومحمد بن على بن الحسين ومكحول وبكر بن عبد الله المزنى وبكير بن الأشج ومالك وابن أبى ذئب وعبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون أنهم قالوا الشفق الحمرة وقال عبد الرزاق عن معمر ابن خثيم عن ابن لبيبة عن أبى هريرة قال الشفق البياض ، فالشفق هو حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة . قال الخليل بن أحمد : الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة فاذا ذهب قيل غاب الشفق . وقال الجوهرى : الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها فى أول الليل إلى قريب من العتمة وكذا قال عكرمة الشفق الذى يكون بين المغرب والعشاء وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « وقت المغرب مالم يغب الشفق » فنى هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهرى والخليل . ولكن صح عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية (فلا أقسم بالشفق) هو النهار كله وفى رواية عنه أيضا أنه قال الشفق الشمس رواهما ابن أبى حاتم ، وانما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى (والليل وما وسق) أى جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام وقال ابن جرير : أقسم الله بالنهار مدبرا وبالليل مقبلا . وقال ابن جرير: وقال آخرون الشفق اسم للحمرة والبياض وقالوا هو من الأضداد . قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة (وما وسق) وما جمع قال قتادة وماجمع من نجم ودابة واستشهد ابن عباس بقول الشاعر :

* مستوسقات لو يجدن سائقا *

قد قال عكرمة (والليل وما وسق) يقول ماساق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شىء إلى مأواه ، وقوله تعالى (والقمر إذا اتسق) قال ابن عباس إذا اجتمع واستوى وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد (والقمر إذا اتسق) إذا استوى . وقال الحسن إذا اجتمع إذا امتلأ وقال قتادة إذا استدار ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلا لليل وما وسق ، وقوله تعالى (لتركبن طبقا عن طبق) قال البخارى أخبرنا سعيد بن النضر أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال : قال ابن عباس (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ، هكذا رواه البخارى بهذا اللفظ . وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبى صلى الله عليه وسلم كأنه قال سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون

قوله نبيكم مرفوعا على الفاعلية من قال وهو الأظهر والله أعلم كما قال أنس : لايأتى عام إلا والذى بعده شر منه سمعته من نبيكم ﷺ . وقال ابن جرير حدثنى يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد أن ابن عباس كان يقول (لتركبن طبقا عن طبق) قال يعنى نبيكم ﷺ يقول حالا بعد حال ، هذا لفظه ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس طبقا عن طبق حالا بعد حال . وكذا قال عكرمة ومرة والطيب ومجاهد والحسن والضحاك ومسروق وأبو صالح ويحتمل أن يكون المراد (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال ، قال هذا يعنى المراد بهذا نبيكم ﷺ فيكون مرفوعا على أن هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبرا والله أعلم ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة كما قال أبوداود الطيالسى وغندر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لتركبن طبقا عن طبق) قال : محمد ﷺ ، ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لتركبن بفتح التاء والباء . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن الشعبى (لتركبن طبقا عن طبق) قال: لتركبن ياعمد سماء بعد سماء . وهكذا روى عن ابن مسعود ومسروق وأبى العالية (طبقا عن طبق) سماء بعد سماء ﴿ قلت ﴾ يعنون ليلة الإسراء ؟ وقال أبو إسحاق والسدى عن رجل عن ابن عباس (طبقا عن طبق) منزلا على منزل ، وكذا رواه العوفى عن ابن عباس مثله وزاد ويقال أمرا بعد أمر وحالا بعد حال ، وقال السدى نفسه (لتركبن طبقا عن طبق) أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل ﴿ قلت ﴾ كأنه أراد معنى الحديث الصحيح « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لودخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى قال « فمن ؟ » وهذا محتمل

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولا يقول فى قول الله (لتركبن طبقا عن طبق) قال فى كل عشرين سنة تحدثون أمرا لم تكونوا عليه وقال الأعمش حدثنا إبراهيم قال : قال عبد الله (لتركبن طبقا عن طبق) قال السماء تنشقق ثم تحمر ثم تكون لونا بعد لون . قال الثورى عن قيس بن وهب عن مرة عن ابن مسعود (طبقا عن طبق) قال السماء مرة كالدهان ومرة تنشق وروى البزار من طريق جابر الجعفى عن الشعبى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود (لتركبن طبقا عن طبق) ياعمد يعنى حالا بعد حال ، ثم قال ورواه جابر عن مجاهد عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير (لتركبن طبقا عن طبق) قال قوم كانوا فى الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا فى الآخرة ، وآخرون كانوا أشرافا فى الدنيا فاتضعوا فى الآخرة ، وقال عكرمة (طبقا عن طبق) حالا بعد حال فطيما بعد ما كان رضيعا ، وشيخا بعد ما كان شابا ، وقال الحسن البصرى (طبقا عن طبق) يقول حالا بعد حال ، رخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر . وفقرا بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقما بعد صحة ، وقال ابن أبى حاتم ذكر عن عبد الله بن زاهر حدثنى أبى عن عمرو بن ثمر عن جابر هو الجعفى عن محمد بن على عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن ابن آدم لفى غفلة مما خلق له إن الله تعالى إذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه اكتب أجله اكتب أثره . اكتب شقيا أو سعيدا . ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله اليه ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فاذا حضره الموت ارتفع ذانك الملكان وجاءه ملك الموت فقبض روحه فاذا دخل قبره رد الروح فى جسده ثم ارتفع ملك الموت وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا معقودا فى عنقه ثم حضرا معه واحدا سائقا وآخر شهيدا ثم قال الله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا) » قال رسول الله ﷺ (لتركبن طبقا عن طبق) قال « حالا بعد حال » ثم قال النبى ﷺ « إن قدامكم لأمرا عظيما لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم » هذا حديث منكر وإسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم قال ابن جرير بعد ماحكى أقوال الناس فى هذه الآية من القراء والمفسرين : والصواب من التأويل قول من قال لتركبن أنت ياعمد حالا بعد حال وأمرا بعد أمر من الشدائد والمراد بذلك وإن كان الخطاب موجها إلى رسول الله

ﷺ جميع النـــاس وأنهم يلقون من شـدائد يوم القيامة وأحواله أهوالا ، وقوله تعـالى (فمـا لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أى فمـاذا يمنعهم من الإيمـان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون اعظاما واكراما واحتراما وقوله تعالى (بل الذين كفروا يكذبون) أى من سجيتهم التـكذيب والعناد والمخالفة للحق (والله أعلم بما يوعون) قال مجاهـد وقتادة يكتمون فى صـدورهم (فبشرهم بعذاب أليم) أى فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا أليما

وقوله تعالى (إلا الذين آمنو وعملوا الصالحات) هذا استثناء منقطع يعنى لـكن الذين آمنوا أى بقلوبهم وعملوا الصالحات أى بجوارحهم (لهم أجر) أى فى الدار الآخرة (غير ممنون) قال ابن عباس غير منقوص، وقال مجاهد والضحاك غير محسوب وحاصل قولهما أنه غير مقطوع كما قال تعالى (عطاء غير مجذوذ) وقال السدى قال بعضهم غير ممنون غير منقوص ، وقال بعضهم غير ممنون عليهم وهذا القول الأخير عن بعضهم قد أنـكره غير واحد فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة فى كل حال وآن ولحظة وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائما سرمدا والحمد لله وحده أبدا ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين. آخر تفسير سورة الانشقاق ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة البروج وهى مكية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا زريق بن أبى سلمة حدثنا أبو المهزم عن أبى هريرة أن رسـول الله ﷺ كان يقرأ فى العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق . وقال أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا حماد بن عباد السدوسى سمعت أبا المهزم يحدث عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسموات فى العشاء ، تفرد به أحمد

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ * وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ * ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ * ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾

يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهى النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك فى قوله تعالى (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدى : البروج النجوم وعن مجاهد أيضا البروج التى فيها الحرس وقال يحيى بن رافع : البروج قصور فى السماء ، وقال المنهال بن عمرو (والسماء ذات البروج) الخلق الحسن واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر وهى اثنا عشر برجا تسير الشمس فى كل واحد منها شهرا ويسير القمر فى كل واحد منها يومين وثلثا فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستسر ليلتين ، وقوله تعالى (واليوم الموعود وشاهد ومشهود) اختلف المفسرون فى ذلك . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا عبـد الله بن محمد ابن عمرو الغزى حدثنا عبيد الله يعنى ابن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصارى عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد) يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه (ومشهود) يوم عرفة » وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف الحديث وقد روى موقوفا على أبى هريرة وهو أشبه

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة أما علي فرفعه إلى النبي ﷺ وأما يونس فلم يعد أبا هريرة أنه قال في هذه الآية (وشاهد ومشهود) قال يعني الشاهد يوم الجمعة ويوم مشهود يوم القيامة وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمارا مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية (وشاهد ومشهود) قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة . وقد روى عن أبي هريرة أنه قال اليوم الموعود يوم القيامة وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد ولم أرهم يختلفون في ذلك ولله الحمد ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عوف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ «اليوم الموعود يوم القيامة وإن الشاهد يوم الجمعة وإن المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا » ثم قال ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا ابن أبي فديك عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن سيد الأيام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة » . وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب ، ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شعبة عن علي بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس قال: الشاهد هو محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وحدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن شباك قال سأل رجل الحسن بن علي عن (وشاهد ومشهود) قال سألت أحدا قبلي ؟ قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا : يوم النحر ويوم الجمعة ، فقال لا ، ولكن الشاهد محمد ﷺ ثم قرأ (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) والمشهود يوم القيامة ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وهكذا قال الحسن البصري وقال سفيان الثوري عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب: ومشهود يوم القيامة وقال مجاهد وعكرمة والضحاك الشاهد ابن آدم والمشهود يوم القيامة وعن عكرمة أيضا الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم الجمعة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) قال الشاهد الإنسان والمشهود يوم الجمعة هكذا رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة ، وبه عن سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم قال يوم النحر ويوم عرفة يعني الشاهد والمشهود قال ابن جرير وقال آخرون المشهود يوم الجمعة ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني عمي عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة » وعن سعيد بن جبير الشاهد الله وتلا (وكفى بالله شهيدا) والمشهود نحن ، حكاه البغوي ، وقال: الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة . وقوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) أي لعن أصحاب الأخدود وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدودا وأججوا فيه نارا وأعدوا لها وقودا يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها ولهذا قال تعالى (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود *إذهم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين . قال الله تعالى (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) أي وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفي سبب ذلك . على كثير من الناس . ثم قال تعالى (الذي له ملك السموات والأرض)من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما (والله على كل شيء شهيد) أي لا يغيب عنه شيء في جميع السموات

والأرض ولا تخفى عليه خافية . وقد اختلف أهل التفسير فى أهل هذه القصة من هم ؟ فمن على أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماؤهم فعمد إلى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم . وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخدوا لهم الأخاديد وأحرقوهم فيها ، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشى ، وقال العوفى عن ابن عباس (قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود) قال ناس من بنى إسرائيل خدوا أخدوداً فى الأرض ثم أوقدوا فيه نارا ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالا ونساء فعرضوا عليها وزعموا أنه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقيل غير ذلك وقد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إنى قد كبر سنى وحضر أجلى فادفع إلى غلاما لأعلمه السحر فدفع اليه غلاما كان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ماحبسك وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا ماحبسك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسنى أهلى وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسنى الساحر قال فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر ، قال فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب اليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال أى بنى أنت أفضل منى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على ، فكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك جليس فعمى فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال اشفنى ولك ما ههنا أجمع فقال ما أنا أشفى أحداً إنما يشفى الله عز وجل فان آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه ، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يافلان من رد عليك بصرك ؟ فقال ربى ؟ فقال أنا ! قال لا ، ربى وربك الله ، قال ولك رب غيرى ؟ قال نعم ربى وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فبعث اليه فقال أى بنى بلغ من سحرك أن تبرىء الأكمه والأبرص وهذه الادواء ! قال ما أشفى أحداً إنما يشفى الله عز وجل ، قال أنا ، قال لا . قال أولك رب غيرى ؟ قال ربى وربك الله ، فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فأتى بالراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه ، وقال للأعمى : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض . وقال للغلام : ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه وإلا فدهدهوه فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال مافعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى فبعث به مع نفر فى قرقور فقال إذا لججتم به البحر فان رجع عن دينه وإلا فغرقوه فى البحر فلججوا به البحر فقال الغلام : اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال مافعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به فان أنت فعلت ما آمرك به قتلتنى وإلا فانك لا تستطيع قتلى ، قال وما هو ؟ قال تجمع الناس فى صعيد واحد ثم تصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى ثم قل باسم الله رب الغلام فانك إذا فعلت ذلك قتلتنى . ففعل ووضع السهم فى كبد قوسه ثم رماه وقال باسم الله رب الغلام فوقع السهم فى صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام . فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر ؟ فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم ، فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها ، قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست ان تقع فى النار فقال الصبى : اصبرى ياأماه فانك على الحق .

وهكذا رواه مسلم فى آخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه ، ورواه النسائى عن أحمد بن سليمان عن

عثمان عن حماد بن سلمة ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت به واختصروا أوله ، وقد جوده الإمام أبو عيسى الترمذى فرواه فى تفسير هذه الصورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد ـ المعنى واحد ـ قالا: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر همس والهمس فى بعض قولهم تحريك شفتيه كأنه يتكلم فقيل له إنك يارسول الله إذا صليت العصر همست قال « إن نبيا من الأنبياء كان أعجب بأمته فقال من يقوم لهؤلاء . فأوحى الله اليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم وبين أن أسلط عليهم عدوهم فاختاروا النقمة فسلط الله عليهم الموت فمات منهم فى يوم سبعون ألفا » قال وكان إذا حدث بهذا الحديث حدث بهذا الحديث الآخر قال : كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له فقال الكاهن انظروا لى غلاما فهما أو قال فطنا لقنا فأعلمه علمى هذا ، فذكر القصة بتمامها وقال فى آخره يقول الله عز وجل (قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود ـ حتى بلغ ـ العزيز الحميد) قال فأما الغلام فانه دفن فيذكر أنه أخرج فى زمان عمر بن الخطاب واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ، ثم قال الترمذى : حسن غريب ، وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبى صلى الله عليه وسلم قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى : فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومى فانه كان عنده علم من أخبار النصارى والله أعلم . وقد أورد محمد بن إسحاق بن يسار هذه القصة فى السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال حدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى وحدثنى أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان فى قرية من قراها قريبا من نجران ـ ونجران هى القرية العظمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد ـ ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيمون ولم يسموه لى بالاسم الذى سماه ابن منبه قالوا نزلها رجل فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التى فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث التامر ابنه عبدالله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه مايرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكتمه إياه وقال له يا ابن أخى أنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه والتامر أبو عبد الله لايظن إلا أن ابنه يختلف الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد الى أقداح فجمعها ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه فى قدح لكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أوقد نارا ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شىء فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذى قد كتبه فقال وما هو ؟ قال هو كذا وكذا ، قال وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع فقال أى ابن أخى قد أصبته فأمسك على نفسك ومأأظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر إلا قال له ياعبد الله أتوحد الله وتدخل فى دينى وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعوا الله له فشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفى حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت على أهل قريتى وخالفت دينى ودين آبائى لأمثلن بك ، قال لاتقدر على ذلك قال فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع الى الأرض مابه بأس وجعل يبعث به الى مياه بنجران بحور لا يلقى فيها شىء إلا هلك فيلقى به فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه قال له عبدالله بن التامر إنك والله لاتقدر على قتلى حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله فانك إن فعلت سلطت على فقتلتنى قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبدالله ابن التامر ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله ابن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام من الإنجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران . قال ابن إسحاق فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر فالله أعلم أى ذلك كان ، قال فسار إليهم ذونواس بجنده فدعاهم الى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل فخد الأخدود وحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ففى ذى نواس وجنده

أنزل الله عزوجل على رسوله ﷺ (قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذهم عليها قعود ، وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد) هكذا ذكر محمد بن إسحاق فى السيرة أن الذى قتل أصحاب الأخدود هو ذونواس واسمه زرعة ويسمى فى زمان مملكته يوسف وهو ابن بيان أسعد أبى كريب وهو تبع الذى غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة فكان تهود من تهود من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن إسحاق مبسوطا فقتل ذونواس فى غداة واحدة فى الأخدود عشرين ألفا ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ذهب فارسا وطردوا وراءه فلم يقدروا عليه فذهب إلى قيصر ملك الشام فكتب إلى النجاشى ملك الحبشة فأرسل معه جيشا من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدى اليهود وذهب ذونواس هاربا فلجج فى البحر فغرق واستمر ملك الحبشة فى أيدى النصارى سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذى يزن الحميرى من أيدى النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس فأرسل معه من فى السجون فكانوا قريبا من سبعمائة ففتح بهم اليمن ورجع الملك إلى حمير وسنذكر طرفا من ذلك إن شاء الله فى تفسير سورة (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) وقال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلا من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن فيها قاعدا واضعا يده على ضربة فى رأسه ممسكا عليها بيده فإذا أخذت يده عنها تنبعث دما ، وإذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دمها وفى يده خاتم مكتوب فيه ربى الله فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره فكتب عمر إليهم أن أقروه على حاله وردوا عليه الذى كان عليه ففعلوا . وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا رحمه الله: حدثنا أبو بلال الأشعرى حدثنا إبراهيم بن محمد عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب حدثنى بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط فبناه فسقط ثم بناه فسقط فقيل له إن تحته رجلا صالحا فحفر الأساس فوجد فيه رجلا قائما معه سيف فيه مكتوب أنا الحارث بن مضاض نقمت على أصحب الأخدود فاستخرجه أبو موسى وبنى الحائط فثبت (قلت) هو الحارث بن مضاض ابن عمرو بن مضاض الجرهمى أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن وهو القائل فى شعره الذى قال ابن هشام إنه أول شعر قالته العرب

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى والجدود العواثر

وهذا يقتضى أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان إسماعيل عليه السلام بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها وما ذكره ابن إسحاق يقتضى أن قصتهم كانت فى زمن الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه والله أعلم وقد يحتمل أن ذلك قد وقع فى العالم كثيراً كما قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو اليمان أخبرنا صفوان عن عبد الرحمن بن جبير قال كانت الأخدود فى اليمن زمان تبع وفى القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد فاتخذوا أتونا وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد ، وفى العراق فى أرض بابل بختنصر الذى صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحباه عزريا وميشائيل فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار ثم ألقاهما فيه فجعلها الله تعالى عليهما بردا وسلاما وأنقذهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار . وقال أسباط عن السدى فى قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) قال كانت الأخدود ثلاثة : خد بالعراق ، وخد بالشام ، وخد باليمن . رواه ابن أبى حاتم ، وعن مقاتل قال كانت الأخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن والأخرى بالشام والأخرى بفارس حرقوا بالنار أما التى بالشام فهو انطانوس والرومى وأما التى بفارس فهو بختنصر ، وأما التى بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس فأما التى بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآنا وأنزل فى التى كانت بنجران ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكى حدثنا عبد الله بن

أبى جعفر عن أبيه عن الربيع هو ابن أنس فى قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) قال سمعنا أنهم كانوا قوما فى زمان الفترة فلما رأوا ما وقع فى الناس من الفتنه والشر وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون اعتزلو إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التى اتخذوا وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا لانعبد إلا الله وحده لاشريك له فقال لهم إن لم تعبدوا هذه الآلهة التى عبدت فانى قاتلكم فأبوا عليه فخد أخدودا من نار وقال لهم الجبار وقعهم عليها اختاروا هذه أو الذى نحن فيه فقالوا هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية فقالوا لهم أى آباؤهم لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففى ذلك أنزل الله عز وجل (قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذهم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد) ورواه ابن جرير : حدثت عن عمار عن عبد الله بن أبى جعفر به نحوه . وقوله تعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنين والمؤمنات) أى حرقوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبزى (ثم لم يتوبوا) أى لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذا الحريق) وذلك أن الجزاء من جنس العمل قال الحسن البصرى انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ * ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ * وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن (لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ولهذا قال (ذلك الفوز الكبير) ثم قال تعالى (إن بطش ربك لشديد) أى إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوى فانه تعالى ذو القوه المتين الذى ماشاء كان كما يشاء فى مثل لمح البصر أو هو أقرب ولهذا قال تعالى (إنه هو يبدىء ويعيد) أى من قوته وقدرته التامة يبدىء الخلق ويعيده كما بدأه بلا امتناع ولا مدافع (وهو الغفور الودود) أى يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أى شىء كان، والودود قال ابن عباس وغيره هو الحبيب (ذو العرش) أى صاحب العرش العظيم العالى على جميع الخلائق، والمجيد فيه قراءتان الرفع على أنه صفة للرب عز وجل والجر على أنه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح (فعال لما يريد) أى مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روينا عن أبى بكر الصديق أنه قيل له وهو فى مرض الموت هل نظر إليك الطبيب ؟ قال نعم . قالوا فما قال لك ؟ قال : قال لى إنى فعال لما أريد وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود) أى هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النقمة التى لم يردها عنهم أحد ؟ وهذا تقرير لقوله تعالى (إن بطش ربك لشديد) أى إذا أخذ الظالم أخذه أخذا أليما شديدا أخذ عزيز مقتدر قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الجنود) فقام يستمع فقال « نعم قد جاءنى » وقوله تعالى (بل الذين كفروا فى تكذيب) أى هم فى شك وريب وكفر وعناد (والله من ورائهم محيط) أى هو قادر عليهم قاهر لايفوتونه ولا يعجزونه (بل هو قرآن مجيد) أى عظيم كريم (فى لوح محفوظ) أى هو فى الملأ الأعلى محفوظ

من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل . قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن على حدثنا قرة بن سليمان حدثنا حرب بن شريح حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك فى قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) قال إن اللوح المحفوظ الذى ذكر الله (بل هو قرآن مجيد* فى لوح محفوظ) فى جبهة إسرافيل . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح ثنا معاوية بن صالح أن أبا الأعبس هو عبد الرحمن بن سلمان قال : ما من شىء قضى الله : القرآن ، فما قبله وما بعده إلا وهو فى اللوح المحفوظ واللوح المحفوظ بين عينى إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه ، وقال الحسن البصرى إن هذا القرآن المجيد عند الله فى لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه وقد روى البغوى من طريق إسحق بن بشر أخبرنى مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال إن فى صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة قال : واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض . وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه من الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك ، وقال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ، لله فيه فى كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويعز ويذل ويفعل ما يشاء » . آخر تفسير سورة البروج ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الطارق وهى مكية ﴾

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله وسمعته أنا منه حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى عن عبد الرحمن بن خالد بن أبى حبل العدوانى عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ فى مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أوعصى حين أتاهم يبتغى عندهم النصر فسمعته يقول « والسماء والطارق » حتى ختمها قال فوعيتها فى الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها فى الإسلام قال فدعتنى ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه وقال النسائى حدثنا عمرو بن منصور حدثنا أبو نعيم عن مسعر عن محارب بن دثار عن جابر قال صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبى ﷺ « أفتان أنت يا معاذ ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها ؟ »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلسَّمَاءِ وَٱلطَّارِقِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ * إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ * إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ * فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾

يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى (والسماء والطارق) ثم قال (وما أدراك ما الطارق) ثم فسره بقوله (النجم الثاقب) قال قتادة وغيره إنما سمى النجم طارقا لأنه إنما يرى بالليل ويختفى بالنهار ويؤيده ما جاء فى الحديث الصحيح نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا أى يأتيهم فجأة بالليل ، وفى الحديث الآخر المشتمل على الدعاء « إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن » وقوله تعالى (الثاقب) قال ابن عباس المضىء وقال السدى يثقب الشياطين إذا أرسل عليها وقال عكرمة هو مضىء ومحرق للشيطان

وقوله تعالى (إن كل نفس لما عليها حافظ) أى كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى

(له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) . وقوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق؟) تنبيه للانسان على ضعف أصله الذى خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الاعادة بطريق الأولى كما قال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) يعنى المنى يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل ولهذا قال (يخرج من بين الصلب والترائب) يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدى وغيرهم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هذه الترائب ووضع يده على صدره . وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس ترببة المرأة موضع القلادة ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: الترائب بين ثديها ، وعن مجاهد الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر وعنه أيضا الترائب أسفل من التراقى ، وقال سفيان الثورى فوق الثديين وعن سعيد بن جبير الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل . وعن الضحاك الترائب بين الثديين والرجلين والعينين ، وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبى حبيبة المدنى أنه بلغه فى قول الله عز وجل (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هو عصارة القلب من هناك يكون الولد . وعن قتادة (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلبه ونحره وقوله تعالى (إنه على رجعه لقادر) فيه قولان ﴿أحدهما﴾ على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذى خرج منه لقادر على ذلك قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما ﴿والقول الثانى﴾ إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق أى إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر لأن من قدر على البداءة قدر على الاعادة ، وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل فى القرآن فى غير ما موضع ، وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى (يوم تبلى السرائر) أى يوم القيامة تبلى فيه السرائر أى تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا ، وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال هذه غدرة فلان بن فلان » وقوله تعالى (فماله) أى الإنسان يوم القيامة (من قوة) أى فى نفسه (ولا ناصر) أى من خارج منه أى لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾

قال ابن عباس : الرجع المطر وعنه هو السحاب فيه المطر وعنه (والسماء ذات الرجع) تمطر ثم تمطر وقال قتادة ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم ، وقال ابن زيد ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا (والأرض ذات الصدع) قال ابن عباس هو انصداعها عن النبات وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدى وغير واحد ، وقوله تعالى (إنه لقول فصل) قال ابن عباس: حق ، وكذا قال قتادة وقال آخر: حكم عدل (وما هو بالهزل) أى بل هو جد حق ، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال (إنهم يكيدون كيدا) أى يمكرون بالناس فى دعوتهم إلى خلاف القرآن ، ثم قال تعالى (فمهل الكافرين) أى أنظرهم ولا تستعجل لهم (أمهلهم رويدا) أى قليلا أى وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك كما قال تعالى (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) . آخر تفسير سورة الطارق ولله الحمد والمنة

تفسير سورة سبح وهى مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخارى حدثنا عبدان أخبرنى أبى عن شعبة عن أبى إسحق عن البراء بن عازب قال: أول

من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء حتى قرأت (سبح اسم ربك الأعلى) فى سور مثلها . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن علي رضى الله قال : كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة (سبح اسم ربك الأعلى) تفرد به أحمد . وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها والليل إذا يغشى » . وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى العيدين بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا . هكذا وقع فى مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث ، وقد رواه مسلم فى صحيحه وأبوداود والترمذى والنسائى من حديث أبي عوانة وجرير وشعبة ثلاثتهم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير به ، قال الترمذى وكذا رواه الثورى ومسعر عن إبراهيم قال ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان به كما رواه الجماعة فالله أعلم ، ولفظ مسلم وأهل السنن كان يقرأ فى العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا فى يوم واحد فقرأهما . وقد روى الامام أحمد فى مسنده من حديث أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يأيها الكافرون ، وقل هو الله أحد زادت عائشة والمعوذتين . وهكذا روى هذا الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صدى بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهم ، ولولا خشية الاطالة لأوردنا ماتيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن فى الارشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبوعبد الرحمن حدثنا موسى يعنى ابن أيوب الغافقى حدثنا عمى إياس بن عامر سمعت عقبة ابن عامر الجهنى لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ « اجعلوها فى ركوعكم » فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجعلوها فى سجودكم » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) قال « سبحان ربى الأعلى » وهكذا ورواه أبوداود عن زهير بن حرب عن وكيع به قال وخولف فيه وكيع رواه أبووكيع وشعبة عن أبي إسحاق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا . وقال الثورى عن السدى عن عبد خير قال سمعت عليا قرأ (سبح ربك الأعلى) فقال: سبحان ربى الأعلى . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة عن أبي إسحاق الهمدانى أن ابن عباس كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) يقول سبحان ربى الأعلى وإذا قرأ (لاأقسم بيوم القيامة) فأتى

على آخرها (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) يقول سبحانك وبلى ، وقال قتادة (سبح اسم ربك الأعلى) ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال : سبحان ربي الأعلى ، وقوله تعالى (الذي خلق فسوى) أي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات . وقوله تعالى (والذي قدر فهدى) قال مجاهد : هدى الإنسان للشقاوة والسعادة وهدى الأنعام لمراتعها وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن موسى أنه قال لفرعون (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي قدر قدرا وهدى الخلائق اليه كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وقوله تعالى (والذي أخرج المرعى) أي من جميع صنوف النباتات والزروع (فجعله غثاء أحوى) قال ابن عباس هشيما متغيرا وعن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه . قال ابن جرير وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم وأن معنى الكلام والذي أخرج المرعى، أحوى أخضر إلى السواد فجعله غثاء بعد ذلك ثم قال ابن جرير وهذا وإن كان محتملا إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل . وقوله تعالى (سنقرئك) أي يا محمد (فلا تنسى) وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها (إلا ما شاء الله) وهذا اختيار ابن جرير وقال قتادة : كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئا إلا ما شاء الله وقيل المراد بقوله (فلا تنسى) طلب وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ أي لا تنسى ما نقرئك إلا ما يشاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه . وقوله تعالى (انه يعلم الجهر وما يخفى) أي يعلم ما يجهر به العباد وما يخافونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء وقوله تعالى (ونيسرك لليسرى) أي نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر . وقوله تعالى (فذكر إن نفعت الذكرى) أي ذكر حيث تنفع التذكرة ، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم ، وقال : حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ، وقوله تعالى (سيذكر من يخشى) أي سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه (ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى) أي لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال قال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان يعني التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء فيأخذ الرجل الضبارة فينبتهم ـ أو قال ـ ينبتون ـ في نهر الحيا ـ أو قال الحياة ـ أو قال الحيوان ـ أو قال نهر الجنة فينبتون ـ نبات الحبة في حميل السيل» قال وقال: النبي صلى الله عليه وسلم « أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء ؟ » قال : فقال بعضهم كأن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالبادية . وقال أحمد أيضا حدثنا إسماعيل حدثنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس ـ أو كما قال ـ تصيبهم النار بذنوبهم ـ أو قال بخطاياهم ـ فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل » قال : فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية ، ورواه مسلم من حديث بشر بن المفضل وشعبة كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به مثله ورواه أحمد أيضا عن يزيد عن سعيد بن إياس الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة حتى يصيروا فحما ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة فيرش عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل » . وقد قال الله تعالى إخبارا عن أهل النار (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) إلى غير ذلك من

الآيات فى هذا المعنى

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾

يقول تعالى (قد أفلح من تزكى) أى طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه (وذكر اسم ربه فصلى) أى أقام الصلاة فى أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالا لشرع الله . وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن أحمد العزرمى حدثنا عمى محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم (قد أفلح من تزكى) قال « من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أنى رسول الله » (وذكر اسم ربه فصلى) قال « هى الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها » ثم قال لا يروى عن جابر الا من هذا الوجه وكذا قال ابن عباس ان المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره ابن جرير . وقال ابن جرير حدثنى عمرو بن عبد الحميد الايلى حدثنا مروان بن معاوية عن أبى خلدة قال دخلت على أبى العالية فقال لى إذا غدوت غدا إلى العيد فمر بى قال فمررت به فقال هل طعمت شيئا ؟ قلت نعم قال أفضت على نفسك من الماء ؟ قلت نعم قال فأخبرنى مافعلت زكاتك ! قلت قد وجهتها قال إنما أردتك لهذا ثم قرأ (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء ﴿ قلت ﴾ وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس باخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال أبو الأحوص إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يدى صلاته زكاة فان الله تعالى يقول (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال قتادة فى هذه الآية (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) زكى ماله وأرضى خالقه

ثم قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أى تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على مافيه نفعكم وصلاحكم فى معاشكم ومعادكم (والآخرة خير وأبقى) أى ثواب الله فى الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى فان الدنيا دانية فانية والآخرة شريفة باقية فكيف يؤثر عاقل مايفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريبا ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد . قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن أبى إسحاق عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن عطاء عن عرفجة الثقفى قال : استقرأت ابن مسعود (سبح اسم ربك الأعلى ـ فلما بلغ ـ بل تؤثرون الحياة الدنيا) ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل ، وهذا منه على وجه التواضع والهضم أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو والله أعلم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود الهاشمى حدثنا إسماعيل بن جعفر أخبرنى عمرو بن أبى عمرو عن المطلب بن عبد الله عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال « من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على ما يفنى » تفرد به أحمد ، وقد رواه أيضا عن أبى سلمة الخزاعى عن الدراوردى عن عمرو بن أبى عمرو به مثله سواء ، وقوله تعالى (إن هذا لفى الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا نصر بن على حدثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إن هذا لفى الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى) قال النبى صلى الله عليه وسلم « كان كل هذا ـ أو كان هذا ـ فى صحف إبراهيم وموسى » ثم قال لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس غير هذا وحديثا آخر رواه مثل هذا

وقال النسائى أخبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا نصر بن على حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال كلها فى صحف إبراهيم وموسى ، ولما نزلت (وإبراهيم الذى وفى) قال وفّى إبراهيم (لا تزر وازرة وزر أخرى) يعنى أن هذا الآية كقوله تعالى فى سورة النجم (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن إلى ربك المنتهى) الآيات إلى آخرهن ، وهكذا قال عكرمة فيما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثورى عن أبيه عن عكرمة فى قوله تعالى (إن هذا لفى الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) يقول الآيات التى فى سبح اسم ربك الأعلى ، وقال أبو العالية : قصة هذه السورة فى الصحف الأولى ، واختار ابن جرير أن المراد بقوله إن هذا إشارة إلى قوله (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى) ثم قال تعالى (إن هذا) أى مضمون هذا الكلام (لفى الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) وهذا الذى اختاره حسن قوى وقد روى عن قتادة وابن زيد نحوه والله أعلم . آخر تفسير سورة سبح ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة الغاشية وهى مكية ﴾

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية فى صلاة العيد ويوم الجمعة . وقال الإمام مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير بم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : هل أتاك حديث الغاشية . ورواه أبو داود عن القعنبى والنسائى عن قتيبة كلاهما عن مالك به ، ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن ضمرة بن سعيد به .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾

الغاشية من أسماء يوم القيامة . قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد لأنها تغشى الناس وتعمهم وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : مر النبى ﷺ على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الغاشية) فقام يستمع ويقول « نعم قد جاءنى » . وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) أى ذليلة قاله قتادة ، وقاله ابن عباس تخشع ولا ينفعها عملها وقوله تعالى (عاملة ناصبة) أى قد عملت عملا كثيراً ونصبت فيه وصليت يوم القيامة ناراً حاميه . قال الحافظ أبو بكر البرقانى حدثنا إبراهيم بن محمد المزكى حدثنا محمد بن إسحاق السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت أبا عمران الجونى يقول مر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بدير راهب قال فناداه ياراهب فأشرف قال فجعل عمر ينظر اليه ويبكى فقيل له ياأمير المؤمنين ما يبكيك من هذا ؟ قال ذكرت قول الله عز وجل فى كتابه (عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية) فذاك الذى أبكانى . وقال البخارى قال ابن عباس (عاملة ناصبة) النصارى ، وعن عكرمة والسدى عاملة فى الدنيا بالمعاصى ناصبة فى النار بالعذاب والاهلاك ، قال ابن عباس والحسن وقتادة (تصلى ناراً حامية) أى حارة شديدة الحر (تسقى من عين آنية) أى قد انتهى حرها وغليانها قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدى . وقوله تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس شجر من النار وقال سعيد بن جبير هو الزقوم وعنه أنها الحجارة ، وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو الجوزاء وقتادة هو الشبرق ، قال قتادة : قريش تسميه فى الربيع الشبرق وفى الصيف الضريع ؛ قال عكرمة وهو شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض . وقال البخارى قال مجاهد الضريع نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع

إذا يبس وهوسم ، وقال معمر عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) هو الشبرق إذا يبس سمى الضريع ، وقال سعيد عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) من شر الطعام وأبشعه وأخبثه ؛ وقوله تعالى (لايسمن ولا يغنى من جوع) يعنى لايحصل به مقصود ولا يندفع به محذور .

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾

لما ذكر حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء فقال (وجوه يومئذ) أى يوم القيامة (ناعمة) أى يعرف النعيم فيها وإنما حصل لها ذلك بسعيها ، وقال سفيان (لسعيها راضية) قد رضيت عملها . وقوله تعالى (فى جنة عالية) أى رفيعة بهية فى الغرفات آمنون (لاتسمع فيها لاغية) أى لاتسمع فى الجنة التى هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى (لايسمعون فيها لغوا إلا سلاما) وقال تعالى (لالغو فيها ولا تأثيم) وقال تعالى (لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) (فيها عين جارية) أى سارحة وهذه نكرة فى سياق الإثبات وليس المراد بها عينا واحدة وإنما هذا جنس يعنى فيها عيون جاريات . قال ابن أبى حاتم قرىء على الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنهار الجنة تفجر من تحت تلال — أو من تحت جبال — المسك » (فيها سرر مرفوعة) أى عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فاذا أرادولى الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له (وأكواب موضوعة) يعنى أوانى الشرب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها (ونمارق مصفوفة) قال ابن عباس النمارق الوسائد وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك والسدى والثورى وغيرهم ، وقوله تعالى (وزرابى مبثوثة) قال ابن عباس الزابى البسط وكذا قال الضحاك وغير واحد ، ومعنى مبثوثة أى ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها ؛ ونذكر ههنا هذا الحديث الذى رواه أبو بكر بن أبى داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبى عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ « ألا هل من مشمر للجنة فان الجنة لاخطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبدى فى دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحبرة ونعمة ، فى محلة عالية بهية ؟ » قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها ، قال « قولوا إن شاء الله » قال القوم إن شاء الله ، ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقى عن الوليد بن مسلم بن محمد بن مهاجر به

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾

يقول تعالى آمرا عباده بالنظر فى مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته (أفلاينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟) فانها خلق عجيب وتركيبها غريب فانها فى غاية القوة والشدة وهى مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها ، ونبههم بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل وكان شريح القاضى يقول اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت ! أى كيف رفعها الله عز وجل عن الأرض هذا الرفع العظيم كما قال تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) (وإلى الجبال كيف نصبت) أى جعلت منصوبة فانها ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها ، وجعل فيها ماجعل من المنافع والمعادن (وإلى

الأرض كيف سطحت !) أى كيف بسطت ومدت ومهدت فنبه البدوى على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى هو راكب عليه والسماء التى فوق رأسه والجبل الذى تجاهه والأرض التى تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وأنه الإله الذى لا يستحق العبادة سواه ؛ وهكذا أقسم ضمام فى سؤاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال كنا نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شىء فكان يعجبنا أن يجىء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يامحمد إنه أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال « صدق » قال فمن خلق السماء ! قال « الله » قال فمن خلق الأرض ! قال « الله » قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ماجعل ! قال « الله » قال فبالذى خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ؟ قال « صدق » قال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا ؟ قال « صدق » قال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال « صدق » قال ثم ولى فقال والذى بعثك بالحق لاأزيد عليهن شيئا ولا أنقص منهن شيئا فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن صدق ليدخلن الجنة » وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد عن أبى النضر هاشم بن القاسم به وعلقه البخارى ورواه الترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه الإمام أحمد والبخارى وأبوداود والنسائى وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن سعيد المقبرى عن شريك بن عبد الله ابن أبى نمر عن أنس به بطوله ، وقال فى آخره وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحاق حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنى عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يحدث عن امرأة فى الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها ترعى غنما فقال لها ابنها يا أمه من خلقك ؟ قالت الله قال فمن خلق أبى : قالت الله ، قال فمن خلقنى قالت الله ، قال فمن خلق السماء : قالت الله قال فمن خلق الأرض ، قالت الله قال فمن خلق الجبل ؟ قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم قالت الله قال فإنى لأسمع لله شأنا وألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مايحدثنا هذا . قال ابن دينار كان ابن عمر كثيرا مايحدثنا بهذا فى إسناده ضعف وعبد الله بن جعفر هذا هو المدينى ضعفه ولده الامام على بن المدينى وغيره ، وقوله تعالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) أى فذكر ياعمد الناس بما أرسلت به اليهم (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) ولهذا قال (لست عليهم بمسيطر) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما (لست عليهم بجبار) أى لست تخلق الإيمان فى قلوبهم ، وقال ابن زيد لست بالذى تكرههم على الإيمان قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » ثم قرأ (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وهكذا رواه مسلم فى كتاب الإيمان والترمذى والنسائى فى كتاب التفسير من سننهما من حديث سفيان بن سعيد الثورى به بهذه الزيادة . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من رواية أبى هريرة بدون ذكر هذه الآية ، وقوله تعالى (إلا من تولى وكفر) أى تولى عن العمل بأركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه وهذه كقوله تعالى (فلاصدق ولاصلى ولكن كذب وتولى) ولهذا قال (فيعذبه الله العذاب الأكبر) قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن أبى هلال عن على بن خالد ان أبا أمامة الباهلى مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله » تفرد باخراجه الامام أحمد وعلى بن خالد هذا ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه ولم يزد على ماههنا روى عن أبى أمامة وعنه سعيد بن أبى هلال ، وقوله تعالى (إن إلينا إيابهم) أى مرجعهم ومنقلبهم (ثم إن علينا حسابهم) أى نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر . آخر تفسير سورة الغاشية ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الفجر وهى مكية ﴾

قال النسائى أنا عبد الوهاب بن الحكم أخبرنى يحيى بن سعيد عن سليمان عن محارب بن دثار وأبى صالح عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى فى ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذا فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى فقال يا رسول الله جئت أصلى معه فطول على فانصرفت وصليت فى ناحية المسجد فعلفت ناقتى فقال رسول الله ﷺ « أفتان يامعاذ ؟ أين أنت من سبح اسم ربك الأعلى — والشمس وضحاها — والفجر — والليل إذا يغشى »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ * ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ * وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ * ٱلَّذِينَ طَغَوْا فِى ٱلْبِلَٰدِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾

أما الفجر فمعروف وهو الصبح قاله على وابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدى وعن مسروق ومحمد بن كعب المراد به فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليالى العشر ، وقيل المراد بذلك الصلاة التى تفعل عنده كما قاله عكرمة وقيل المراد به جميع النهار وهو رواية عن ابن عباس، والليالى العشر المراد بها عشر ذى الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف ، وقد ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس مرفوعا « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام » يعنى عشر ذى الحجة قالوا : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال « ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء » وقيل المراد بذلك العشر الأول من المحرم حكاه أبو جعفر ابن جرير ولم يعزه إلى أحد وقد روى أبو كدينة عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس (وليال عشر) قال هو العشر الأول من رمضان ، والصحيح القول الأول قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عياش بن عقبة حدثنى خير بن نعيم عن أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ قال « إن العشر عشر الأضحى ، والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر » ورواه النسائى عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله وكل منهما عن زيد بن الحباب به ، ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث زيد بن الحباب به وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم وعندى أن المتن فى رفعه نكارة والله أعلم . وقوله تعالى (والشفع والوتر) قد تقدم فى هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة لكونه التاسع وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضا ﴿ قول ثان ﴾ وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنى عقبة بن خالد عن واصل بن السائب قال سألت عطاء عن قوله تعالى (والشفع والوتر) قلت صلاتنا وترنا هذا ؟ قال لا ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى ﴿ قول ثالث ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد ابن عامر بن إبراهيم الأصبهانى حدثنى أبى عن النعمان يعنى ابن عبد السلام عن أبى سعيد بن عوف حدثنى بمكة قال سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن الشفع والوتر فقال الشفع قول الله تعالى (فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه) والوتر قوله تعالى (ومن تأخر فلا إثم عليه) وقال ابن جريج أخبرنى محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول : الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق وفى الصحيحين من رواية أبى هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر» ﴿ قول رابع ﴾ قال الحسن البصرى وزيد بن أسلم : الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه

وهو رواية عن مجاهد والمشهور عنه الأول وقال العوفى عن ابن عباس (والشفع والوتر) قال : الله وتر واحد وأنتم شفع ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب

﴿ قول خامس ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد (والشفع والوتر) قال : الشفع الزوج، والوتر : الله عزوجل وقال أبو عبد الله عن مجاهد : الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والأنثى وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله (والشفع والوتر) كل شىء خلقه الله شفع. السماء والأرض والبر والبحر والجن والإنس والشمس والقمر ونحو هذا ، ونحا مجاهد فى هذا ما ذكروه فى قوله تعالى (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) أى لتعلموا أن خالق الأزواج واحد ﴿ قول سادس ﴾ قال قتادة عن الحسن (والشفع والوتر) هو العدد منه شفع ومنه وتر . ﴿ قول سابع فى الآية الكريمة ﴾ رواه ابن أبى حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج. ثم قال ابن جرير وروى عن النبى ﷺ خبر يؤيد القول الذى ذكرنا عن ابن الزبير حدثنى عبد الله بن أبى زياد القطوانى حدثنا زيد بن الحباب أخبرنى عياش بن عقبة حدثنى خير بن نعيم عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث » هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ وهو مخالف لما تقدم من اللفظ فى رواية أحمد والنسائى وابن أبى حاتم وما رواه هو أيضا والله أعلم . قال أبو العالية والربيع بن أنس وغيرهما : هى الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالمغرب فانها ثلاث وهى وتر النهار وكذلك صلاة الوتر فى آخر التهجد من الليل. وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عمران بن حصين (والشفع والوتر) قال هى الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر وهذا منقطع وموقوف ولفظه خاص بالمكتوبة وقد روى متصلا مرفوعا إلى النبى ﷺ ولفظه عام . قال الإمام أحمد حدثنا أبو داود هو الطيالسى حدثنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام أن شيخا حدثه من أهل البصرة عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال « هى الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر » هكذا وقع فى المسند ، وكذا رواه ابن جرير عن بندار عن عفان وعن أبى كريب عن عبيد الله بن موسى كلاهما عن همام وهو ابن يحيى عن قتادة عن عمران بن عصام عن شيخ عن عمران بن حصين، وكذا رواه أبو عيسى الترمذى عن عمرو ابن على عن ابن مهدى وأبى داود كلاهما عن همام عن قتادة عن عمران بن عصام عن رجل من أهل البصرة عن عمران بن حصين به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة وقد روى عن عمران بن عصام عن عمران نفسه والله أعلم ﴿ قلت ﴾ ورواه ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبعى شيخ من أهل البصرة عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ فذكره هكذا رأيته فى تفسيره فجعل الشيخ البصرى هو عمران بن عصام . وهكذا رواه ابن جرير أخبرنا نصر بن على حدثنى أبى حدثنى خالد بن قيس عن قتادة عن عمران بن عصام عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ فى الشفع والوتر قال « هى الصلاة منها شفع ومنها وتر » فأسقط ذكر الشيخ المبهم وتفرد به عمران بن عصام الضبعى أبو عمارة البصرى إمام مسجد بنى ضبيعة وهو والد أبى جمرة نصر بن عمران الضبعى روى عنه قتادة وابنه أبو جمرة والمثنى بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات وذكره خليفة بن خياط فى التابعين من أهل البصرة وكان شريفا نبيلا حظيا عند الحجاج بن يوسف ثم قتله يوم الراوية سنة ثنتين وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث وليس له عند الترمذى سوى هذا الحديث الواحد ، وعندى أن وقفه على عمران بن حصين أشبه والله أعلم ولم يجزم ابن جرير بشىء من هذه الأقوال فى الشفع والوتر وقوله تعالى (والليل إذا يسر) قال العوفى عن ابن عباس أى إذا ذهب، وقال عبد الله بن الزبير (والليل إذا يسر) حتى يذهب بعضه بعضا ، وقال مجاهد وأبو العالية وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (والليل إذا يسر) إذا سار وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس أى ذهب ويحتمل أن يكون المراد إذا سار أى أقبل وقد يقال إن هذا أنسب لأنه فى مقابلة قوله (والفجر) فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل فإذا حمل قوله (والليل إذا يسر) على إقباله كان قسما بإقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس كقوله (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) وكذا قال الضحاك (والليل إذا يسر)

أى يجرى ، وقال عكرمة (والليل إذا يسر) يعنى ليلة جمع ليلة المزدلفة . رواه ابن جرير وابن أبى حاتم

ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول فى قوله (والليل إذا يسر) قال: اسر ياسارولا تبيتن إلا بجمع، وقوله تعالى (هل فى ذلك قسم لذى حجر) أى لذى عقل ولب وحجا ، وإنما سمى العقل حجرا لأنه يمنع الإنسان من تعاطى مالا يليق به من الأفعال والأقوال ، ومنه حجر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامى ، ومنه حجر اليمامة ، وحجر الحاكم على فلان إذا منعه التصرف (ويقولون حجرا محجورا) كل هذا من قبيل واحد ، ومعنى متقارب ، وهذا القسم هو بأوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التى يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له الخائفون منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟) وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله جاحدين لكتبه فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبرا فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد ؟) وهؤلاء عاد الأولى وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح قاله ابن إسحق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودا عليه السلام فكذبوه وخالفوه فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ؟ وقد ذكر الله قصتهم فى القرآن فى غير ما موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنون فقوله تعالى (إرم ذات العماد) عطف بيان زيادة تعريف بهم وقوله تعالى (ذات العماد) لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التى ترفع بالأعمدة الشداد وقد كانوا أشد الناس فى زمانهم خلقة وأقواهم بطشا ، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها فى طاعة ربهم الذى خلقهم فقال (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسط فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) وقال تعالى (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وقال ههنا (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى القبيلة التى لم يخلق مثلها فى بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم ، قال مجاهد: إرم، أمة قديمة يعنى عادا الأولى ، قال قتادة بن دعامة والسدى : إن إرم بيت مملكة عاد ، وهذا قول حسن جيد قوى وقال مجاهد وقتادة والكلبى فى قوله (ذات العماد) كانوا أهل عمد لا يقيمون ، وقال العوفى عن ابن عباس إنما قيل لهم ذات العماد لطولهم ، واختار الأول ابن جرير ورد الثانى فأصاب ، وقوله تعالى (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أعاد ابن زيد الضمير على العماد لارتفاعها وقال بنوا عمدا بالأحقاف لم يخلق مثلها فى البلاد ، وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة أى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى البلاد يعنى فى زمانهم ، وهذا القول هو الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف لأنه لو كان المراد ذلك لقال التى لم يعمل مثلها فى البلاد وإنما قال (لم يخلق مثلها فى البلاد) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثنى معاوية بن صالح عمن حدثه عن المقدام عن النبى ﷺ أنه ذكر إرم ذات العماد فقال « كان الرجل منهم يأتى على الصخرة فيحملها على الحى فيهلكهم » ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أبو الطاهر حدثنا أنس بن عياض عن ثور بن زيد الديلى قال قرأت كتابا قد سمى حيث قرأه أنا شداد بن عاد وأنا الذى رفعت العماد وأنا الذى شددت بذراعى نظر واحد وأنا الذى كنزت كنزا على سبعة أذرع لا يخرجه إلا أمة محمد ﷺ ﴿ قلت ﴾ فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها أو أعمدة بيوتهم للبدو أو سلاحا يقاتلون به أو طول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الأمم وهم المذكورون فى القرآن فى غير ما موضع المقرونون بثمود كما ههنا والله أعلم

ومن زعم أن المراد بقوله (إرم ذات العماد) مدينة إما دمشق كما روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو اسكندرية كما روى عن القرظى أو غيرها ففيه نظر فانه كيف يلتئم الكلام على هذا (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد) إن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان ، فانه لا يتسق الكلام حينئذ ، ثم المراد إنما هو الاخبار عن إهلاك

القبيلة المسماة بعاد وما أحل الله بهم من بأسه الذى لا يرد لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو إقليم . وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصباءها لآلىء وجواهر وترابها بنادق المسك وأنهارها سارحة وثمارها ساقطة ودورها لا أنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب ، وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد فان هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم فى جميع ذلك . وذكر الثعلبي وغيره أن رجلا من الأعراب وهو عبد الله بن قلابة فى زمان معاوية ذهب فى طلب أباعر له شردت فبينما هو يقتفيها إذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التى تقدم ذكرها وأنه رجع فأخبر الناس فذهبوا معه إلى المكان الذى قال فلم يروا شيئا . وقد ذكر ابن أبى حاتم قصة إرم ذات العماد ههنا مطولة جدا فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ولو صح إلى ذلك الأعرابى فقد يكون اختلق ذلك أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال فاعتقد أن ذلك له حقيقة فى الخارج وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر واليواقيت واللآلىء والأكسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل فى صرفها فى بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات ويطنزون بهم والذى يجزم به أن فى الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزا كثيرة من ظفر بشىء منها أمكنه تحويله ، فأما على الصفة التى زعموها فكذب وافتراء وبهت ولم يصح فى ذلك شىء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم والله سبحانه وتعالى الهادى للصواب . وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله (إرم ذات العماد) قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف ، فيه نظر لأن المراد من السياق إنما هو الاخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) يعنى يقطعون الصخر بالوادى قال ابن عباس ينحتونها ويخرقونها وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد ومنه يقال مجتابى الثمار إذا خرقوها واجتاب الثوب إذا فتحه ومنه الجيب أيضا وقال الله تعالى (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وأنشد ابن جرير وابن أبى حاتم ههنا قول الشاعر :

ألا كل شىء ماخلا الله بائد * كما باد حى من شنيف ومارد

هم ضربوا فى كل صماء صعدة * بأيد شداد أيدات السواعد

وقال ابن إسحق كانوا عربا وكان منزلهم بوادى القرى وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة فى سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته . وقوله تعالى (وفرعون ذى الأوتاد) قال العوفى عن ابن عباس الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره ويقال كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم فى أوتاد من حديد يعلقهم بها وكذا قال مجاهد كان يوتد الناس بالأوتاد وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدى . قال السدى كان يربط الرجل كل قائمة من قوائمه فى وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه وقال قتادة بلغنا أنه كان له مظال وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال وقال ثابت البنانى عن أبى رافع قيل لفرعون ذى الأوتاد لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت . وقوله تعالى (الذين طغوا فى البلاد * فأكثروا فيها الفساد) أى تمردوا وعتوا وعاثوا فى الأرض بالافساد والأذية للناس (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أى أنزل عليهم رجزا من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين

وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يسمع ويرى يعنى يرصد خلقه فيما يعملون ويجازى كلا بسعيه فى الدنيا والأخرى وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور . وقد ذكر ابن أبى حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفى إسناده نظر وفى صحته ، فقال حدثنا أبى حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا يونس الحذاء عن أبى حمزة البيسانى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يامعاذ إن المؤمن

لدى الحق أسير ، يا معاذ إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره ، يامعاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو بإذن الله عز وجل فالقرآن دليله ، والخوف محجته والشوق مطيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصدقة فكاكه ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، وربه عز وجل من وراء ذلك كله بالمرصاد » قال ابن أبي حاتم : يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة عن معاذ مرسل ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنا أي لو كان من كلامه لكان حسنا ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أيفع عن ابن عبد الكلاعي أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول إن لجهنم سبع قناطر قال والصراط عليهن قال فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى فيقول (قفوهم إنهم مسؤلون) قال فيحاسبون على الصلاة ويسئلون عنها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الأمانة كيف أدوها وكيف خانوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا ، قال والرحم يومئذ متدلية إلى الهوى في جهنم تقول اللهم من وصلني فصله ، ومن قطعني فاقطعه قال وهي التي يقول الله عز وجل (إن ربك لبالمرصاد) هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾

يقول تعالى مكرا على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له قال الله تعالى (كلا) أي ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا فان الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيرا بأن يصبر وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) فيه أمر بالاكرام له كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي غياث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه — ثم قال باصبعه — أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » . وقال أبو داود حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أخبرنا عبد العزيز يعني ابن أبي حازم حدثني أبي عن سهل يعني ابن سعيد أن رسول الله ﷺ قال « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بين اصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام (ولا تحاضون على طعام المسكين) يعني لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك (وتأكلون التراث) يعني الميراث (أكلا لما) أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام (وتحبون المال حبا جما) أي كثيرا زاد بعضهم فاحشا

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِايْءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *

وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة فقال تعالى (كلا) أى حقا (إذا دكت الأرض دكا دكا) أى وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال وقام الخلائق من قبورهم لربهم (وجاء ربك) يعنى لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الاطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعد ما يسألون أولى العزم من الرسل واحدا بعد واحد فكلهم يقول لست بصاحب ذاكم حتى تنتهى النوبة إلى محمد ﷺ فيقول « أنا لها أنا لها » فيذهب فيشفع عند الله تعالى فى أن يأتى لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى فى ذلك وهى أول الشفاعات وهى المقام المحمود كما تقدم بيانه فى سورة سبحان فيجىء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا وقوله تعالى (وجىء يومئذ بجهنم) قال الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى عن العلاء بن خالد الكاهلى عن شقيق عن عبدالله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» وهكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن عمر بن حفص به ورواه أيضا عن عبد بن حميد عن أبى عامر عن سفيان الثورى عن العلاء بن خالد عن شقيق بن سلمة وهو أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعه وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن مروان بن معاوية الفزارى عن العلاء بن خالد عن شقيق عن عبدالله قوله . وقوله تعالى (يومئذ يتذكر الإنسان) أى عمله وما كان أسلفه فى قديم دهره وحديثه (وأنى له الذكرى) أى وكيف تنفعه الذكرى (يقول يا ليتنى قدمت لحياتى) يعنى يندم على ما كان سلف منه من المعاصى إن كان عاصيا ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعا كما قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا على بن إسحق حدثنا عبد الله يعنى ابن المبارك حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير ابن نفير عن محمد بن عمرة وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن عبدا خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت فى طاعة الله لحقره يوم القيامة ولودّ أنه رد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب . قال الله تعالى (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أى ليس أحد أشد عذابا من تعذيب الله من عصاه (ولا يوثق وثاقه أحد) أى وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربهم عز وجل وهذا فى حق المجرمين من الخلائق والظالمين فأما النفس الزكية المطمئنة وهى الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك) أى إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده فى جنته (راضية) أى فى نفسها (مرضية) أى قد رضيت عن الله ورضى عنها وأرضاها (فادخلى فى عبادى) أى فى جملتهم (وادخلى جنتى) وهذا يقال لها عند الاحتضار وفى يوم القيامة أيضا كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فروى الضحاك عن ابن عباس نزلت فى عثمان بن عفان : وعن بريدة ابن الحصيب نزلت فى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه. وقال العوفى عن ابن عباس يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك) يعنى صاحبك وهو بدنها الذى كانت تعمره فى الدنيا (راضية مرضية) وروى عنه أنه كان يقرؤها (فادخلى فى عبدى وادخلى جنتى) وكذا قال عكرمة والكلبى واختاره ابن جرير وهو غريب والظاهر الأول لقوله تعالى (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) (وأن مردنا إلى الله) أى إلى حكمه والوقوف بين يديه وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكى حدثنى أبى عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) قال نزلت وأبو بكر جالس فقال يا رسول الله ما أحسن هذا فقال « أما إنه سيقال لك هذا » ثم قال حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن يمان عن أشعث عن سعيد بن جبير قال : قرأت عند النبى صلى الله عليه وسلم (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) فقال أبو بكر رضى الله عنه إن هذا لحسن ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « أما إن الملك

سيقول لك هذا عند الموت » وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به وهذا مرسل حسن .

ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزرى عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال : مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ورواه الطبراني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن مروان بن شجاع عن سالم بن عجلان الأفطس به فذكره . وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروى المعروف بشكر في كتاب العجائب بسنده عن قباث بن رزين أبي هاشم قال : أسرت في بلاد الروم فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه وألقى رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال: يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم بأسمائهم قال الله تعالى في كتابه (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ثم غاص في الماء وقال فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة إلى الاسلام قال وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي عن أبيها حدثني سليمان بن حبيب المحاربي حدثني أبو أمامة أن رسول الله ﷺ قال لرجل « قل اللهم إني أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك » ثم روى عن أبي سليمان بن وبر أنه قال: حديث رواحة هذا واحد أمه آخر تفسير سورة الفجر، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة البلد وهي مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا * أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالا لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها ، قال خصيف عن مجاهد (لا أقسم بهذا البلد) لا رد عليهم . أقسم بهذا البلد ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (لا أقسم بهذا البلد) يعني مكة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به ، وكذا روى عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدى وابن زيد ، وقال مجاهد ما أصبت فيه فهو حلال لك ، وقال قتادة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت به من غير حرج ولا إثم ، وقال الحسن البصري أحلها الله له ساعة من نهار وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه ، وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب » وفي لفظ آخر « فان أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم » ، وقوله تعالى (ووالد وما ولد) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية عن شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ووالد وما ولد) الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به وقال عكرمة الوالد العاقر وما ولد الذي يلد . رواه ابن أبي حاتم . وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثوري وسعيد بن جبير والسدى والحسن البصري وخصيف وشرحبيل بن سعد وغيرهم يعني بالوالد آدم وما ولد ولده وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده وقال أبو عمران الجوني هو إبراهيم وذريته » رواه ابن جرير وابن

أبي حاتم واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده وهو محتمل أيضا ، وقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) روى عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي وخيثمة والضحاك وغيرهم يعني منتصبا زاد ابن عباس في رواية عنه منتصبا في بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة ، ومعنى هذا القول لقد خلقناه سويا مستقيما كقوله تعالى (يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ماشاء ركبك) وكقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان) في أحسن تقويم) وقال ابن أبي نجيح وجريج وعطاء عن ابن عباس: في كبد قال في شدة خلق ألم تر إليه وذكر مولده ونبات أسنانه ، وقال مجاهد (في كبد) نطفة ثم علقة ثم مضغة يتكبد في الخلق قال مجاهد وهو كقوله تعالى (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وأرضعته كرها ومعيشته كره فهو يكابد ذلك وقال سعيد بن جبير (لقد خلقنا الإنسان في كبد) في شدة وطلب معيشة وقال عكرمة في شدة وطول وقال قتادة في مشقة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الحميد بن جعفر سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الأنصار عن قول الله تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال في قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر ، وروى من طريق أبي مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال يكابد أمرا من أمر الدنيا وأمرا من أمر الآخرة وفي رواية يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن زيد (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال آدم خلق في السماء فسمي ذلك الكبد واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها ، وقوله تعالى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الحسن البصري يعني (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) يأخذ ماله وقال قتادة (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال ابن آدم يظن أن لن يسئل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه ، وقال السدي (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الله عز وجل ، وقوله تعالى (يقول أهلكت مالا لبدا) أي يقول ابن آدم أنفقت مالا لبدا أي كثيرا قاله مجاهد والحسن وقتادة والسدي وغيرهم (أيحسب أن لن يره أحد) قال مجاهد أي أيحسب أن لم يره الله عز وجل وكذا قال غيره من السلف : وقوله تعالى (ألم نجعل له عينين) أي يبصر بهما (ولسانا) أي ينطق به فيعبر عما في ضميره (وشفتين) يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمالا لوجهه وفمه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي عن مكحول قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعما عظاما لاتحصى عددها ولاتطيق شكرها وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك وإن رأيت ماحرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا فانطق بما أمرتك وأحللت لك فان عرض عليك ماحرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجا وجعلت لك سترا فأصب بفرجك ما أحللت لك فان عرض عليك ماحرمت عليك فأرخ عليك سترك . ابن آدم إنك لاتحمل سخطي ولاتطيق انتقامي » (وهديناه النجدين) الطريقين قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبدالله هو ابن مسعود (وهديناه النجدين) قال الخير والشر وكذا روى عن علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي وائل وأبي صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراساني في آخرين وقال عبد الله بن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « هما نجدان فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه ابن معين وقال الامام أحمد والنسائي والجوزجاني منكر الحديث ، وقال أحمد تركت حديثه لاضطرابه وروى خمسة عشر حديثا منكرة كلها ما أعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث الحسن — يعني البصري — لايشبه حديث أنس وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول (وهديناه النجدين) قال ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « يا أيها الناس إنهما النجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير » وكذا رواه حبيب بن الشهيد و معمر ويونس بن عبيد وأبو وهب عن الحسن مرسلا وهكذا أرسله قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عيسى بن عفان عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى (وهديناه النجدين) قال التدبين وروى عن الربيع بن خيثم وقتادة وأبي حازم مثل ذلك ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن عيسى بن عقال به ثم قال والصواب القول الأول

ونظير هذه الآية قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا * إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ * أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾

قال ابن جرير حدثنى عمر بن إسماعيل بن مجالد حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبى عطية عن ابن عمر فى قوله تعالى (فلا اقتحم) أى دخل (العقبة) قال جبل فى جهنم وقال كعب الأحبار (فلا اقتحم العقبة) هو سبعون درجة فى جهنم وقال الحسن البصرى (فلا اقتحم العقبة) قال عقبة فى جهنم وقال قتادة إنها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالى وقال قتادة (وما أدراك ما العقبة ؟) ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال (فك رقبة أو إطعام) وقال ابن زيد (فلا اقتحم العقبة) أى أفلا سلك الطريق التى فيها النجاة والخير ثم بينها فقال تعالى (وما أدراك ما العقبة * فك رقبه أو إطعام) قرىء فك رقبة بالإضافة وقرىء على أنه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا القراءتين معناها متقارب . قال الإمام أحمد حدثنا على بن إبراهيم حدثنا عبد الله يعنى ابن سعيد بن أبى هند عن إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير عن سعيد بن مرجانة أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب — أى عضو — منها إربا منه من النار حتى إنه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج» فقال على بن الحسين أنت سمعت هذا من أبى هريرة ؟ فقال سعيد نعم فقال على بن الحسين لغلام له أفره غلمانه ادع مطرفا فلما قام بين يديه قال اذهب فأنت حر لوجه الله ، وقد رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن سعيد بن مرجانه به وعند مسلم أن هذا العلام الذى أعتقه على بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم وقال قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن أبى نجيح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أيما مسلم أعتق رجلا مسلما فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظماً من عظام محرره من النار وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار » رواه ابن جرير هكذا وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه

قال الإمام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثنى بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عمرو بن عبسة أنه حدثهم أن النبى ﷺ قال «من بنى مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا فى الجنة ، ومن أعتق نفسه مسلمة كانت فديته من جهنم ، ومن شاب شيبة فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة »

﴿ طريق آخرى ﴾ قال أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا جرير عن سليم بن عامر أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو ابن عبسة حدثنا حديثا ليس فيه تزيد ولا نسيان قال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار عضوا بعضوا ، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ كان كمعتق رقبة من بنى إسماعيل » وروى أبو داود والنسائى بعضه ﴿طريق أخرى﴾ قال أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الفرج حدثنا لقمان عن أبى أمامة عن عمرو بن عبسة: قال السلمى قلت له حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم قال سمعته يقول « من ولد له ثلاثة أو لاد فى الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فى سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار ، ومن أنفق زوجين فى سبيل الله فان للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أى باب شاء منها »

وهذه أسانيد جيدة قوية ولله الحمد

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود حدثنا عيسى بن محمد الرملي حدثنا ضمرة عن ابن أبي عبلة عن العريف بن عياش الديلمي قال أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له حدثنا حديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب وقال إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص قلنا إنما أردنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال « أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار » وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عبلة عن العريف بن عياش الديلمي عن واثلة به . ﴿ حديث آخر ﴾ قال أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجذامي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار » وحدثنا عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن قيسا الجذامي حدث عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى عليه وسلم قال « من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار » تفرد به أحمد من هذا الوجه . ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالا: حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بني بجيلة من بني سليم عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء ابن عازب قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة فقال « لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة ، أعتق النسمة وفك الرقبة » فقال يا رسول الله أوليستا بواحدة، قال « لا إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في عتقها ، والمنحة الوكوف ، والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فأطعم الجائع ، واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن النكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير » . وقوله تعالى (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) قال ابن عباس ذي مجاعة ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد والسغب هو الجوع ، وقال إبراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز ، وقال قتادة في يوم مشتهى فيه الطعام . وقوله تعالى (يتيما) أي أطعم في مثل هذا اليوم يتيما (ذا مقربة) أي ذا قرابة منه قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا هشام عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان ، صدقة وصلة » وقد رواه الترمذي والنسائي وهذا إسناد صحيح وقوله تعالى (أو مسكينا ذا متربة) أي فقيرا مدقعا لا صفا بالتراب وهو الدقعاء أيضا قال ابن عباس ذا متربة هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب وفي رواية هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء ، وفي رواية عنه هو البعيد التربة، قال ابن أبي حاتم يعني الغريب عن وطنه ، وقال عكرمة هو الفقير المديون المحتاج، وقال سعيد بن جبير هو الذي لا أحد له وقال ابن عباس وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان هو ذو العيال ، وكل هذه قريبة المعنى. وقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) وقال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية . وقوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) أي كان من المؤمنين العاملين صالحا «المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » وفي الحديث الآخر « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » . وقال أبو داود حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عامر عن عبد الله بن عمرو يرويه قال : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا ، وقوله تعالى (أولئك أصحاب الميمنة) أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين . ثم قال (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة) أي أصحاب الشمال (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ! قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي وعطية العوفي والحسن وقتادة والسدي (مؤصدة) أي مطبقة قال ابن عباس مغلقة الأبواب ، وقال مجاهد أصد الباب بلغة

قريش أى أغلقه وسيأتى فى ذلك حديث فى سورة (ويل لكل همزة لمزة) . وقال الضحاك (مؤصدة) حيطلا باب له وقال قتادة (مؤصدة) مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد ، وقال أبو عمران الجونى إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس فى الدنيا شره فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أو صدوها عليهم أى أطبقوها قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا ولا والله لا تلتقى جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا . رواه ابن أبى حاتم . آخر تفسير سورة البلد ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة والشمس وضحاها وهى مكية ﴾

تقدم حديث جابر الذى فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى ؟ »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا * وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا * وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا * وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا * وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا * وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾

قال مجاهد (والشمس وضحاها) أى وضوئها وقال قتادة (وضحاها)النهار كله . قال ابن جرير والصواب أن يقال أقسم الله بالشمس ونهارها لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار (والقمر إذا تلاها) قال مجاهد تبعها ، وقال العوفى عن ابن عباس (والقمر إذا تلاها) قال يتلو النهار ، وقال قتادة إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤى الهلال ، وقال ابن زيد هو يتلوها فى النصف الأول من الشهر ثم هى تتلوه وهو يتقدمها فى النصف الأخير من الشهر ،وقال مالك عن زيد بن أسلم إذا تلاها ليلة القدر . وقوله تعالى(والنهار إذا جلاها) قال مجاهد أضاء وقال قتادة (والنهار إذا جلاها) إذا غشيها النهار ، وقال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها ﴿ قلت ﴾ ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى (والنهار إذا جلاها) أى البسيطة لكان أولى ولصح تأويله فى قوله تعالى(والليل إذا يغشاها)فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد (والنهار إذا جلاها) انه كقوله تعالى(والنهار إذا تجلى) وأما ابن جرير فاختار عود الضمير فى ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها وقالوا فى قوله تعالى (والليل إذا يغشاها) يعنى إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق

وقال بقية بن الوليد عن صفوان حدثنى يزيد بن ذى حمامة قال : إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشى عبادى خلق العظيم فالليل يهابه والذى خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبى حاتم ، وقوله تعالى (والسماء وما بناها) يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها وهو قول قتادة ويحتمل أن تكون بمعنى من يعنى والسماء وبانيها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد ـ أى بقوة ـ وإنا لموسعون *والأرض فرشناها فنعم الماهدون) وهكذا قوله تعالى (والأرض وما طحاها) قال مجاهد : طحاها دحاها ، قال العوفى عن ابن عباس (وما طحاها) أى خلق فيها وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: ضحاها قسمها . وقال مجاهد وقتادة والضحاك والسدى والثورى، وأبو صالح وابن زيد (طحاها) بسطها وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهرى طحوته مثل دحوته أى بسطته ، وقوله تعالى (ونفس وما سواها) أى خلقها سوية مستقيمه على الفطره القويمة كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه

أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » أخرجاه من رواية أبي هريرة وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حماد المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » ، وقوله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها إلى ماقدر لها . قال ابن عباس (فألهمها فجورها وتقواها) بين لها الخير والشر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر ، وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا حدثنا عزرة ابن ثابت حدثني يحي بن عقيل عن يحي بن يعمر عن أبي الأسود الديلي قال : قال لي عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما تستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت بل شيء قضى عليهم ، قال فهل يكون ذلك ظلما ؟ قال ففزعت منه فزعا شديدا قال : قلت له ليس شيء إلا وهو خلقه وملك يده لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال سددك الله إنما سألتك لأخبر عقلك إن رجلا من مزينة أو جهينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت مايعمل الناس فيه ويتكادحون أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال « بل شيء قد قضى عليهم » قال ففيم نعمل ؟ قال « من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) » رواه أحمد ومسلم من حديث عزرة بن ثابت به ، وقوله تعالى (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل ، ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وكقوله تعالى (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) (وقد خاب من دساها) أي دسسها أي أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا : حدثنا سهل بن عثمان حدثنا أبو مالك يعني عمرو ابن الحارث عن عمرو بن هشام عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قول الله عز وجل (قد أفلح من زكاها) قال النبي صلى الله عليه وسلم « أفلحت نفس زكاها الله عز وجل » ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به وجويبر هذا هو ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس ، وقال الطبراني حدثنا يحي بن عثمان بن صالح حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بهذه الآية (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) وقف ثم قال « اللهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها » ﴿حديث آخر﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يعقوب بن حميد المدني حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموي حدثنا معن بن محمد الغفاري عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ « (فألهمها فجورها وتقواها) ـ قال ـ اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » لم يخرجوه من هذا الوجه ، وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن صالح ابن سعيد عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول « رب أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » تفرد به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم : قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر . اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع . وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها » قال زيد كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يعلناهن ونحن نعلكوهن ، رواه مسلم من حديث أبي معاوية عن عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث وأبي عثمان النهدي عن زيد بن أرقم به

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي وقال محمد بن كعب (بطغواها) أي بأجمعها والأول أولى قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فأعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين (إذ انبعث أشقاها) أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذي قال الله تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) الآية وكان هذا الرجل عزيزا فيهم شريفا في قومه نسيبا رئيسا مطاعا كما قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال « إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة » ورواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن طوق عن هشام بن عروة به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا عيسى بن يونس حدثنا محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم بن أبي مرثد عن عمار ابن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي « ألا أحدثك بأشقى الناس ، » قال بلى قال « رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا - يعني قرنه - حتى تبتل منه هذه » يعني لحيته . وقوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا عليه السلام (ناقة الله) أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء (وسقياها) أي لا تعتدوا عليها في سقياها فان لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم قال الله تعالى (فكذبوه فعقروها) أي كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) أي غضب عليهم فدمر عليهم (فسواها) أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها . وقوله تعالى (ولا يخاف) وقرىء فلا يخاف (عقباها) قال ابن عباس لا يخاف الله من أحد تبعة وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم وقال الضحاك والسدي (ولا يخاف عقباها) أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع ، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه والله أعلم . آخر تفسير سورة والشمس وضحاها ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الليل وهي مكية ﴾

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ « فهلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شعبة عن المغيرة عن إبراهيم عن علقمة أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال : اللهم ارزقني جليسا صالحا : قال فجلس إلى أبي الدرداء فقال له أبو الدرداء ممن أنت؟ قال من أهل الكوفة ، قال كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ (والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى) قال علقمة (والذكر

والأنثى) فقال أبو الدرداء لقد سمعتها من رسول الله ﷺ فما زال هؤلاء حتى شككونى ثم قال ألم يكن فيكم صاحب السواد وصاحب السر الذى لا يعلمه أحد غيره والذى أجير من الشيطان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقد رواه البخارى ههنا ومسلم من طريق الأعمش عن إبراهيم قال قدم أصحاب عبد الله على أبى الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال أيكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا كلنا ، قال أيكم أحفظ ؟ فأشاروا إلى علقمة فقال كيف سمعته يقرأ (والليل إذا يغشى ـ قال ـ والذكر والأنثى) قال أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا وهو لا يريدنى على أن أقرأ (وما خلق الذكر والأنثى) والله لا أتابعهم هـذا لفظ البخارى . هكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفعه أبو الدرداء وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو المثبت فى المصحف الإمام العثمانى فى سائر الآفاق (وما خلق الذكر والأنثى) فأقسم تعالى (بالليل إذا يغشى) أى إذا غشى الخليقة بظلامه (والنهار إذا تجلى) أى بضيائه وإشراقه (وما خلق الذكر والأنثى) كقوله تعالى (وخلقناكم أزواجا) وكقوله (ومن كل شىء خلقنا زوجين) ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضا متضادا ولهذا قال تعالى (إن سعيكم لشتى) أى أعمال العباد التى اكتسبوها متضادة أيضا ومتخالفة فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى) أى أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله فى أموره (وصدق بالحسنى) أى بالمجازاة على ذلك قاله قتادة ، وقال خصيف بالثواب وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) أى بالخلف وقال أبو عبد الرحمن السلمى والضحاك (وصدق بالحسنى) أى بلا إله إلا الله وفى رواية عن عكرمة (وصدق بالحسنى) أى بما أنعم الله عليه ، وفى رواية عن زيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) قال الصلاة والزكاة والصوم وقال مرة وصدقة الفطر . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد حدثنى من سمع أبا العالية الرياحى يحدث عن أبى بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال « الحسنى : الجنة »

وقوله تعالى (فسنيسره لليسرى) قال ابن عباس يعنى للخير ، وقال زيد بن أسلم يعنى للجنة وقال بعض السلف من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ولهذا قال تعالى (وأما من بخل) أى بما عنده (واستغنى) قال عكرمة عن ابن عباس أى بخل بماله واستغنى عن ربه عزوجل . رواه ابن أبى حاتم (وكذب بالحسنى) أى بالجزاء فى الدار الآخرة (فسنيسره للعسرى) أى لطريق الشر كما قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) والآيات فى هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عزوجل يجازى من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة ﴿ رواية أبى بكر الصديق رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا على بن عياش حدثنى العطاف بن خالد حدثنى رجل من أهل البصرة عن طلحة ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن أبيه قال سمعت أبى يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول : قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف ؟ قال « بل على أمر قد فرغ منه » قال ففيم العمل يا رسول الله ؟ قال « كل ميسر لما خلق له » ﴿ رواية على رضى الله عنه ﴾ قال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بقيع الغرقد فى جنازة فقال « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار » فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل ؟ فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ـ إلى قوله ـ للعسرى) وكذا رواه من طريق شعبة ووكيع عن الأعمش بنحوه . ثم رواه عن عثمان بن أبى شيبة عن جرير عن منصور عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال « ما منكم من أحد ـ أو ما من نفس منفوسة ـ إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » فقال رجل يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان منا من

أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء ؟ فقال « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعيد بن عبيدة به ﴿ رواية عبد الله بن عمر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر قال: قال عمر يارسول الله أرأيت ما نعمل فيه أفي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع؟ قال « فيما قد فرغ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب فإن كلا ميسر ، أما من كان من أهل السعادة فانه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فانه يعمل للشقاء » ورواه الترمذى فى القدر عن بندار عن ابن مهدى به وقال حسن صحيح

﴿ حديث آخر من رواية جابر ﴾ قال ابن جرير حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال يارسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه ؟ فقال « لأمر قد فرغ منه » فقال سراقة ففيم العمل إذاً ؟ فقال رسول الله ﷺ « كل عامل ميسر لعمله » ورواه مسلم عن أبى الطاهر عن أبى بن وهب به

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنى يونس حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن بشير بن كعب العدوى قال سأل غلامان شابان النبى ﷺ فقالا: يارسول الله أنعمل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أو فى شىء يستأنف ؟ فقال « بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » قالا : ففيم العمل إذاً ! قال « اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذى خلق له » قالا : نجد ونعمل ﴿ رواية أبى الدرداء ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن خارجة حدثنا أبو الربيع سليمان ابن عتبة السلمى عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن أبى إدريس عن أبى الدرداء قال : قالوا يارسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم شىء نستأنفه ؟ قال « بل أمر قد فرغ منه » فقالوا فكيف بالعمل يارسول الله ؟ قال « كل امرىء مهيأ لما خلق له » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنى الحسن بن سلمة بن أبى كبشة حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عباد بن راشد عن قتادة حدثنى خليد العصرى عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكا تلفاً » وأنزل الله فى ذلك القرآن (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن ابن أبى كبشة باسناده مثله ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنى أبو عبد الله الظهرانى حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا كان له نخيل ومنها . نخلة فرعها فى دار رجل صالح فقير ذى عيال فاذا جاء الرجل فدخل داره فيأخذ الثمرة من نخلته فتسقط الثمرة فيأخذها صبيان الرجل الفقير فينزل من نخلته فينزع الثمرة من أيديهم وإن أدخل أحدهم الثمرة فى فمه أدخل اصبعه فى حلق الغلام ونزع الثمرة من حلقه فشكا ذلك الرجل إلى النبى ﷺ وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبى ﷺ « اذهب » ولقى النبى صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له « أعطنى نخلتك التى فرعها فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنة » فقال له لقد أعطيت ولكن يعجبنى ثمرها وإن لى لنخلا كثيراً ما فيها نخلة أعجب إلى ثمرة من ثمرها فذهب النبى ﷺ فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة فقال الرجل يارسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لى النخلة فأعطيتك إياها أتعطينى ما أعطيته بها نخلة فى الجنة ؟ قال « نعم » ثم إن الرجل لقى صاحب النخلة ولكلامها نخل فقال له أخبرك أن محمدا أعطانى بنخلتى المائلة فى دار فلان نخلة فى الجنة فقلت له قد أعطيت ولكن يعجبنى ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له أراك إذا بعتها قال لا إلا أن أعطى بها شيئا ولا أظننى أعطاه قال : وما مناك ؟ قال أربعون نخلة فقال الرجل : لقد جئت بأمر عظيم نخلتك تطالب بها أربعين نخلة ، ثم سكتا وأنشأ فى كلام آخر ثم قال أنا أعطيتك أربعين نخلة فقال اشهد لى إن كنت صادقا فأمر بأناس فدعاهم فقال اشهدوا أنى قد أعطيته من نخلى أربعين نخلة بنخلته التى فرعها فى دار فلان بن فلان ثم قال ما تقول

فقال صاحب النخلة قد رضيت ، ثم قال بعد ليس بيني وبينك بيع لم نفترق فقال له قد أقالك الله ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك الماثلة فقال صاحب النخلة قد رضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد قال تعطينيها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال هي لك على ساق وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق فتفرقا فذهب الرجل إلى رسول ﷺ فقال يارسول الله إن النخلة الماثلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب الدار فقال له « النخلة لك ولعيالك » قال عكرمة قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل (والليل إذا يغشى — إلى قوله — فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) إلى آخر السورة ، هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جداً .

قال ابن جرير وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حدثنا هارون بن إدريس الأصم حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر رضي الله عنه يعتق على الإسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن فقال له أبوه أي بني أراك تعتق أناسا ضعفاء فلو أنك تعتق رجالا جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك فقال أي أبت إنما أريد — أظنه قال — ماعند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) ، وقوله تعالى (وما يغني عنه ماله إذا تردى) قال مجاهد : أي إذا مات . وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن أسلم إذا تردى في النار .

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ * فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾

قال قتادة (إن علينا للهدى) أي نبين الحلال والحرام ، وقال غيره : من سلك طريق الهدى وصل إلى الله وجعله كقوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) حكاه ابن جرير ، وقوله تعالى (وإن لنا للآخرة والأولى) أي الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما ، وقوله تعالى (فأنذرتكم ناراً تلظى) قال مجاهد أي توهج . قال الإمام أحمد حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول « أنذرتكم النار » حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثني شعبة حدثني أبو إسحاق سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه » رواه البخاري ، وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي إسحاق عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهول أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا » ، وقوله تعالى (لا يصلاها إلا الأشقى) أي لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى ثم فسره فقال (الذي كذب) أي بقلبه (وتولى) أي عن العمل بجوارحه وأركانه

قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا بن لهيعة حدثنا عبد الله بن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل النار إلا شقي » قيل ومن الشقي قال « الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية »

وقال الامام أحمد حدثنا يونس وشريح قالا حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى » قالوا ومن يأبى يارسول الله ؟

قال« من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » ورواه البخارى عن محمد بن سنان عن فليح به

وقوله تعالى (وسيجنبها الأتقى) أى وسيزحزح عن النار التقى النقى الأتقى ثم فسره بقوله (الذى يؤتى ماله يتزكى) أى يصرف ماله فى طاعة ربه ليزكى نفسه وماله وماوهبه الله من دين ودنيا (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أى ليس بذله ماله فى مكافأة من أسدى إليه معروفا فهو يعطى فى مقابلة ذلك وإنما دفعه ذلك (ابتغاء وجه ربه الأعلى) أى طمعا فى أن يحصل له رؤيته فى الدار الآخرة فى روضات الجنات قال الله تعالى (ولسوف يرضى) أى ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حتى إن بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فان لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى (وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى) ولكنه مقدم الأمة وسابقهم فى جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة فانه كان صديقا تقياً كريماً جواداً بذالا لأمواله فى طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يد لك عندى لم أجزك بها لأجبتك وكان الصديق قد أغلظ له فى المقالة فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ، ولهذا قال تعالى (وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) . وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « من أنفق زوجين فى سبيل الله دعته خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير » فقال أبو بكر يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال « نعم وأرجو أن تكون منهم » ، آخر تفسير سورة الليل ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الضحى وهى مكية ﴾

روينا من طريق أبى الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بزة المقرى قال: قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرنى أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قالا لى : كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فإنا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك . وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك . وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبى بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبى أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بذلك فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزى من ولد القاسم بن أبى بزة وكان إماما فى القرا آت . فأما فى الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازى وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر العقيلى قال هو منكر الحديث لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى شرح الشاطبية عن الشافعى أنه سمع رجلا يكبر هذا التكبير فى الصلاة فقال : أحسنت وأصبت السنة وهذا يقتضى صحة هذا الحديث. ثم اختلف القراء فى موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر والليل إذا يغشى ، وقال آخرون من آخر والضحى ، وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر . وذكر القراء فى مناسبة التكبير من أول سورة الضحى أنه لما تأخر الوحى عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى إليه (والضحى والليل إذا سجى) السورة بتمامها كبر فرحا وسرورا ، ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فالله أعلم

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَآلّاً فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله عزوجل (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن جرير من طرق عن الأسود بن قيس عن جندب هو ابن عبد الله البجلى ثم العلقى به وفى رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس سمع جندبا قال أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون ودع محمدا ربه فأنزل الله تعالى (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودى قالا حدثنا أبو أسامة حدثنى سفيان حدثنى الأسود بن قيس أنه سمع جندبا يقول رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فى اصبعه فقال : « هل أنت إلا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت ؟ »

قال فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت له امرأة ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) والسياق لأبى سعيد قيل إن هذه المرأة هى أم جميل امرأة أبى لهب ، وذكر أن اصبعه عليه السلام دميت ، وقوله هذا الكلام الذى اتفق أنه موزون ثابت فى الصحيحين ولكن الغريب ههنا جعله سببا لتركه القيام ونزول هذه السورة . فأما مارواه ابن جرير حدثنا ابن أبى الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيبانى عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبى ﷺ ما أرى ربك إلا قد قلاك فأنزل الله (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال أبطأ جبريل على النبى ﷺ فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة إنى أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك قال فنزلت (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) إلى آخرها فانه حديث مرسل من هذين الوجهين ولعل ذكر خديجة ليس محفوظا أو قالته على وجه التأسف والتحزن والله أعلم

وقد ذكر بعض السلف منهم ابن إسحق هذه أن السورة هى التى أوحاها جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبدى له فى صورته التى خلقه الله عليها ودنا إليه وتدلى منهبطا عليه وهو بالأبطح (فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال: قال له هذه السورة (والضحى والليل إذا سجى) قال العوفى عن ابن عباس لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغير بذلك فقال المشركون ودعه ربه وقلاه فأنزل الله (ما ودعك ربك وما قلى) وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء (والليل إذا سجى) أى سكن فأظلم وادلهم ؟ قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (ما ودعك ربك) أى ما تركك (وما قلى) أى وما أبغضك (وللآخرة خير لك من الأولى) أى وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس فى الدنيا وأعظمهم لها اطراحا كما هو معلوم بالضرورة من سيرته ، ولما خير عليه السلام فى آخر عمره بين الخلد فى الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله عز وجل اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية ، قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا المسعودى عن عمرو بن مرة عن إبراهيم النخعى عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال: اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر فى جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث المسعودى به وقال الترمذى حسن صحيح. وقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) أى فى الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه فى أمته وفيما أعده له من الكرامة ومن جملته نهر الكوثر الذى حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر كما سيأتى وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعى عن إسماعيل بن عبد الله ابن أبى المهاجر المخزومى عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزا كنزا فسر بذلك فأنزل الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فأعطاه فى الجنة ألف ألف قصر

فى كل قصر ماينبغى له من الأزواج والخدم رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من طريقه وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا مايقال إلا عن توقيف وقال السدى عن ابن عباس من رضاء محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وقال الحسن يعنى بذلك الشفاعة وهكذا قال أبو جعفر الباقر وقال أبو بكر ابن أبى شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن على بن صالح عن يزيد بن أبى زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (ألم يجدك يتيما فآوى) وذلك أن أباه توفى وهو حمل فى بطن أمه وقيل بعد أن ولد عليه السلام ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ، ثم كان فى كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفى وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفى أبو طالب قبل الهجرة بقليل فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل فلما وصل اليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضى الله عنهم أجمعين وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به ، وقوله تعالى (ووجدك ضالا فهدى) كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) الآية ومنهم من قال إن المراد بهذا أن النبى صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل إنه ضل وهو مع عمه فى طريق الشام وكان راكبا ناقة فى الليل فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل ففخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاها البغوى ، وقوله تعالى (ووجدك عائلا فأغنى) أى كنت فقيرا ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع له بين مقامى الفقير الصابر والغنى الشاكر صلوات الله وسلامه عليه . وقال قتادة فى قوله (ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى) قال كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل . رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وفى الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » ثم قال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر) أى كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم أى لا تذله وتقهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به ، قال قتادة كن لليتيم كالأب الرحيم (وأما السائل فلا تنهر) أى وكما كنت ضالا فهداك الله فلا تنهر السائل فى العلم المسترشد قال ابن إسحاق (وأما السائل فلا تنهر) أى فلا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا ولا فظا على الضعفاء من عباد الله ، وقال قتادة يعنى رد المسكين برحمة ولين (وأما بنعمة ربك فحدث) أى وكما كنت عائلا فقيرا فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء فى الدعاء المأثور النبوى « واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا » وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن إياس الجريرى عن أبى نضرة قال كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها

وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا الجراح بن فليح عن أبى عبد الرحمن عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب » وإسناده ضعيف وفى الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا يارسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله قال « لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم » . وقال أبو داود حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ورواه الترمذى عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك عن الربيع بن مسلم

وقال صحيح . وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن الجراح حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ قال « من أبلى بلاء فذكره فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » تفرد به أبو داود . وقال أبو داود : حدثنا مسدد حدثنا بشر حدثنا عمارة بن غزية حدثني رجل من قومي عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى عطاء فوجد فليجز به ، فان لم يجد فليثن به فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ، قال أبو داود : ورواه يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل عن جابر كرهوه فلم يسموه تفرد به أبو داود ، وقال مجاهد يعني النبوة التي أعطاك ربك وفي رواية عنه القرآن ، وقال ليث عن رجل عن الحسن بن علي (وأما بنعمة ربك فحدث) قال ما عملت من خير فحدث إخوانك ، وقال محمد بن إسحق ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع إليها قال فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله وافترضت عليه الصلاة فصلى . آخر تفسير سورة الضحى ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة ألم نشرح وهي مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾

يقول تعالى (ألم نشرح لك صدرك) يعني أنا شرحنا لك صدرك أي نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا كقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحا واسعا سمحا سهلا لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق . وقيل المراد بقوله (ألم نشرح لك صدرك) شرح صدره ليلة الاسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أورده الترمذي ههنا وهذا وإن كان واقعا ليلة الاسراء كما رواه مالك بن صعصعة ولكن لا منافاة فان من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الاسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا فالله أعلم

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزار حدثنا يونس بن محمد حدثنا معاذ بن محمد ابن أبي بن كعب حدثني أبو محمد بن معاذ عن محمد عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسا وقال « لقد سألت يا أبا هريرة ، إني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو ؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إلي يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال أعد واسلم فرجعت بها أعدو رقة على الصغير ، ورحمة للكبير » وقوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) يعني (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) (الذي أنقض ظهرك) الانقاض الصوت وقال غير واحد من السلف في قوله (الذي أنقض ظهرك) أي اثقلك حمله ، وقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قال مجاهد لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « أتاني جبريل فقال إن ربي وربك يقول كيف رفعت ذكرك : قال الله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج : وقال ابن أبي حاتم